مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ

جَمْعُ وَتَرْتِيبُ
مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

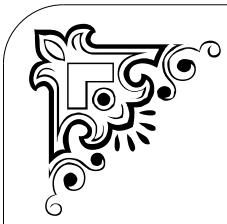

أَهَمِّيَّةُ الرِّفْقِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ دَوْمًا عَلَىٰ الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّ الرِّفْقَ خَصْلَةٌ عَظِيمَةٌ يُحِبُّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ عِبَادِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ**»(١).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَنْ أُعْطِيَ الرِّفْقَ فَقَدْ أُعْطِيَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَمَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ.

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٨٠٢) (١٦٨٠٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٩٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «**يَا عَائِشَةُ! ارْفُقِي؛ فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَىٰ بَابِ الرِّفْقِ**»(٢). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَالرِّفْقُ: لِينُ الْجَانِبِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ بِمَعْنَىٰ: أَنْ تَكُونَ أَقْوَالُ الْإِنْسَانِ وَأَفْعَالُهُ هَيِّنَةً لَيِّنَةً، لَيْسَ فِيهَا صَلَفٌ وَلَا شِدَّةٌ، وَلَا فَظَاظَةٌ وَلَا غِلْظَةٌ، وَلَا إِسْفَافٌ وَلَا فُحْشٌ وَعُنْفٌ.

وَيَتَبَيَّنُ نَصِيبُ الْمَرْءِ مِنَ الرِّفْقِ فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي تُثِيرُ الْغَضَبَ.

وَالرِّفْقُ يُزَيِّنُ الْأُمُورَ، وَيُجَمِّلُ الْحَيَاةَ، وَيُكَمِّلُ الْإِيمَانَ، وَتَتَحَقَّقُ بِهِ لِلْعَبْدِ الْخَيْرِيَّةُ، وَيَنَالُ بِالرِّفْقِ مَصَالِحَهُ وَمَآرِبَهُ وَغَايَاتِهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.(*).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٧٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ الرِّفْقِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ» - الِاثْنَيْنِ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٤هـ| ١٩-١٢-٢٠٢٢م.

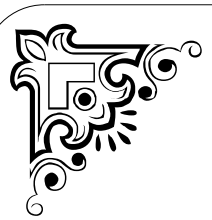

الرِّفْقُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

إِنَّ الرِّفْقَ خُلُقٌ نَبِيلٌ يَحُثُّ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ قُرْآنًا وَسُنَّةً، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

«أَيْ: بِرَحْمَةِ اللهِ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ أَنْ أَلَنْتَ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَتَرَقَّقْتَ عَلَيْهِمْ، وَحَسَّنْتَ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ وَأَحَبُّوكَ، وَامْتَثَلُوا أَمْرَكَ.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أَيْ: سَيِّئَ الْخُلُقِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أَيْ: قَاسِيَهُ؛ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرُهُمْ، وَيُبَغِّضُهُمْ لِمَنْ قَامَ بِهِ هَذَا الْخُلُقُ السَّيِّءُ.

فَالْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّئِيسِ فِي الدِّينِ تَجْذِبُ النَّاسَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ، وَتُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهِ مِنَ الْمَدْحِ وَالثَّوَابِ الْخَاصِّ، وَالْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِنَ الرَّئِيسِ فِي الدِّينِ تُنَفِّرُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، وَتُبَغِّضُهُمْ إِلَيْهِ، مَعَ مَا لِصَاحِبِهَا مِنَ الذَّمِّ وَالْعِقَابِ الْخَاصِّ، فَهَذَا الرَّسُولُ الْمَعْصُومُ يَقُولُ اللهُ لَهُ مَا يَقُولُ؛ فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ؟!

أَلَيْسَ مِنْ أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ وَأَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ: الِاقْتِدَاءُ بِأَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ، وَمُعَامَلَةُ النَّاسِ بِمَا يُعَامِلُهُمْ بِهِ ﷺ مِنَ اللِّينِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّأْلِيفِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَجَذْبًا لِعِبَادِ اللهِ لِدِينِ اللهِ؟!

ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِأَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِ ﷺ، وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فِي التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ اللهِ، فَيَجْمَعَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ.

﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ**﴾ أَيِ: الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِشَارَةٍ وَنَظَرٍ وَفِكْرٍ؛ فَإِنَّ فِي الِاسْتِشَارَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ:

مِنْهَا: أَنَّ الْمُشَاوَرَةَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُتَقَرَّبِ بِهَا إِلَىٰ اللهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِيهَا تَسْمِيحًا لِخَوَاطِرِهِمْ، وَإِزَالَةً لِمَا يَصِيرُ فِي الْقُلُوبِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ؛ فَإِنَّ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ عَلَىٰ النَّاسِ إِذَا جَمَعَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْفَضْلِ، وَشَاوَرَهُمْ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ؛ اطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُمْ وَأَحَبُّوهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يَسْتَبِدُّ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ الْمَصْلَحَةِ الْكُلِّيَّةِ الْعَامَّةِ لِلْجَمِيعِ، فَبَذَلُوا جُهْدَهُمْ وَمَقْدُورَهُمْ فِي طَاعَتِهِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِسَعْيِهِ فِي مَصَالِحِ الْعُمُومِ، بِخِلَافِ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يُحِبُّونَهُ مَحَبَّةً صَادِقَةً، وَلَا يُطِيعُونَهُ، وَإِنْ أَطَاعُوهُ فَطَاعَةً غَيْرَ تَامَّةٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِي الِاسْتِشَارَةِ تَنَوُّرَ الْأَفْكَارِ؛ بِسَبَبِ إِعْمَالِهَا فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ، فَصَارَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ لِلْعُقُولِ.

وَمِنْهَا: مَا تُنْتِجُهُ الِاسْتِشَارَةُ مِنَ الرَّأْيِ الْمُصِيبِ؛ فَإِنَّ الْمُشَاوِرَ لَا يَكَادُ

يُخْطِئُ فِي فِعْلِهِ، وَإِنْ أَخْطَأَ أَوْ لَمْ يَتِمَّ لَهُ مَطْلُوبٌ فَلَيْسَ بِمَلُومٍ، فَإِذَا كَانَ اللهُ يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ وَهُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا، وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾؛ فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ؟!

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أَيْ: عَلَىٰ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ بَعْدَ الِاسْتِشَارَةِ فِيهِ إِنْ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِشَارَةٍ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَيِ: اعْتَمِدْ عَلَىٰ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، مُتَبَرِّئًا مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عَلَيْهِ، اللَّاجِئِينَ إِلَيْهِ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

«﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ بِلِينِ جَانِبِكَ، وَلُطْفِ خِطَابِكَ لَهُمْ، وَتَوَدُّدِكَ وَتَحَبُّبِكَ إِلَيْهِمْ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ وَالْإِحْسَانِ التَّامِّ بِهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فَهَذِهِ أَخْلَاقُهُ ﷺ؛ أَكْمَلُ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ؛ فَهَلْ يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَيَدَّعِي اتِّبَاعَهُ وَالِاقْتِدَاءَ بِهِ أَنْ يَكُونَ كَلًّا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، شَرِسَ الْأَخْلَاقِ، شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ عَلَيْهِمْ، غَلِيظَ الْقَلْبِ، فَظَّ الْقَوْلِ فَظِيعَهُ، وَإِنْ رَأَىٰ مِنْهُمْ مَعْصِيَةً أَوْ سُوءَ أَدَبٍ هَجَرَهُمْ، وَمَقَتَهُمْ وَأَبْغَضَهُمْ، لَا لِينَ عِنْدَهُ، وَلَا أَدَبَ لَدَيْهِ وَلَا تَوْفِيقَ؟!

قَدْ حَصَلَ مِنْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَتَعْطِيلِ الْمَصَالِحِ مَا حَصَلَ،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٦٤).

وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُهُ مُحْتَقِرًا لِمَنِ اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ رَمَاهُ بِالنِّفَاقِ وَالْمُدَاهَنَةِ، وَقَدْ كَمَّلَ نَفْسَهُ وَرَفَعَهَا، وَأُعْجِبَ بِعَمَلِهِ؛ فَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ، وَتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ وَخَدْعِهِ لَهُ!!»(١).

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

«﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ أَيْ: جَاوَزَ الْحَدَّ فِي كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أَيْ: سَهْلًا لَطِيفًا، بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَأَدَبٍ فِي اللَّفْظِ مِنْ دُونِ فُحْشٍ وَلَا صَلَفٍ وَلَا غِلْظَةٍ فِي الْمَقَالِ، أَوْ فَظَاظَةٍ فِي الْأَفْعَالِ؛ ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ بِسَبَبِ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: مَا يَنْفَعُهُ فَيَأْتِيهِ، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾: مَا يَضُرُّهُ فَيَتْرُكُهُ؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ اللَّيِّنَ دَاعٍ لِذَلِكَ، وَالْقَوْلَ الْغَلِيظَ مُنَفِّرٌ عَنْ صَاحِبِهِ، وَقَدْ فُسِّرَ الْقَوْلُ اللَّيِّنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨-١٩]؛ فَإِنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ لُطْفِ الْقَوْلِ وَسُهُولَتِهِ، وَعَدَمِ بَشَاعَتِهِ مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ الْمُتَأَمِّلِ؛ فَإِنَّهُ أَتَىٰ بِـ (هَلْ) الدَّالَّةِ عَلَىٰ الْعَرْضِ، وَالْمُشَاوَرَةِ الَّتِي لَا يَشْمَئِزُّ مِنْهَا أَحَدٌ، وَدَعَاهُ إِلَىٰ التَّزَكِّي وَالتَّطَهُّرِ مِنَ الْأَدْنَاسِ الَّتِي أَصْلُهَا التَّطَهُّرُ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي يَقْبَلُهُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ، وَلَمْ يَقُلْ (أُزَكِّيكَ)، بَلْ قَالَ: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ أَنْتَ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ دَعَاهُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّهِ الَّذِي رَبَّاهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الَّتِي يَنْبَغِي مُقَابَلَتُهَا بِشُكْرِهَا، وَذَكَرَهَا فَقَالَ: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾، فَلَمَّا لَمْ يَقْبَلْ هَذَا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧٠١-٧٠٢).

الْكَلَامَ اللَّيِّنَ الَّذِي يَأْخُذُ حُسْنُهُ بِالْقُلُوبِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْجَعُ فِيهِ تَذْكِيرٌ، فَأَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ»[١].

وَقَدْ أَوْلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ اهْتِمَامًا عَظِيمًا بِصِفَةِ الرِّفْقِ، وَكَانَتْ صِفَةً مُلَازِمَةً لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكُمْ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ!».

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**».

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»[٢]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«رَهْطٌ»: الرَّهْطُ: مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ، لَا يَكُونُ فِيهِمُ امْرَأَةٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَقِيلَ: إِلَىٰ الْأَرْبَعِينَ رَجُلًا.

«السَّامُ»: الْمَوْتُ.

قَوْلُ عَائِشَةَ: «فَفَهِمْتُهَا» أَيْ: فَهِمْتُ أَنَّهُمْ قَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٢٤)، وَمُسْلِمٌ (٢١٦٥).

قَالَتْ: «عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ»، «اللَّعْنَةُ»: الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

«**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ**»، «**مَهْلًا**» أَيِ: ارْفُقِي رِفْقًا، وَ «**الْمَهْلُ**»: التُّؤَدَةُ وَالرِّفْقُ.

«**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**» أَيْ: يُحِبُّ لِينَ الْجَانِبِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَيُحِبُّ الْأَخْذَ بِالْأَسْهَلِ مَا لَمْ يُخَالِفِ الشَّرْعَ.

فِي حَدِيثِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ**»(١).

أَيْ: يَتَأَتَّىٰ مِنَ الرِّفْقِ مَا لَا يَتَأَتَّىٰ مَعَ نَقِيضِهِ وَضِدِّهِ.

قَالَ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**».

أَيْ: يُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ دُعَائِي بِالْمَوْتِ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ بِهِ.

وَبِذَلِكَ تَحَقَّقَ الِانْتِصَارُ بِرِفْقٍ دُونَ عُنْفٍ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: أَدَبُ التَّعَامُلِ مَعَ الْخُصُومِ وَالْأَعْدَاءِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْعُنْفِ وَالْفُحْشِ مَعَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ عَنِيفًا فَاحِشًا مَعَ الْمُسْلِمِينَ!

---

(١) تقدم تخريجه.

وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الِانْتِصَارَ إِنَّمَا يَكُونُ بِرِفْقٍ وَحِكْمَةٍ، وَحُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَدَبُهُ، وَفَضْلُ الرِّفْقِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَذَمُّ الْعُنْفِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: رَدُّ السَّلَامِ عَلَىٰ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ بِقَوْلِ: «وَعَلَيْكُمْ».

وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَوِّدَ لِسَانَهُ عَلَىٰ الْأَدَبِ، وَأَلَّا يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالسَّبِّ؛ حَتَّىٰ لَا يُدْمِنَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: فَضِيلَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَعْنَيَيْهِمَا الشَّرْعِيَّيْنِ، كَمَا فِي بَيَانِ مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها حِينَ سَمِعَتْ سَلَامَ الرَّهْطِ مِنَ الْيَهُودِ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ مَكْرٌ وَخِدَاعٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَمَرَهَا بِاللِّينِ، وَنَهَاهَا عَنِ الْعُنْفِ.

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَ «**الرِّفْقُ**»: لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ اللُّطْفُ، وَهُوَ خِلَافُ الْعُنْفِ.

«**يُحْرَمِ الْخَيْرَ**» أَيْ: يُفْضِيٰ بِهِ إِلَىٰ أَنْ يُحْرَمَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ فِيمَا لَوْ تَعَامَلَ مَعَهُمْ بِالْغِلْظَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ انْفِضَاضِ أَصْحَابِهِ؛ فَكَيْفَ لَوْ تَعَامَلَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ!

---

(١) تقدم تخريجه.

وَأَنْتَ تَرَىٰ -حَفِظَكَ اللهُ- بُعْدَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ، وَاللِّينَ اللِّينَ؛ إِلَّا فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، فَيَتَوَجَّبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِالشِّدَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ.. وَاللِّينَ اللِّينَ؛ حَتَّىٰ تُبَلِّغَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: فَضْلُ الرِّفْقِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ التَّخَلُّقِ بِهِ، وَذَمُّ الْعُنْفِ، وَبَيَانُ أَنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَنَّ الرِّفْقَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ كُلَّهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَضُّ عَلَىٰ اللُّطْفِ، وَأَخْذِ الْأَمْرِ بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَيْسَرِهَا، وَأَنَّ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

«**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ**»: «الْحَظُّ»: النَّصِيبُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٧٥٥٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٠١٣)، مِنْ طَرِيقِ: ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ مَمْلَكٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، بِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٥١٩، ٨٧٦)، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢٦٦٧).

«**الْفَاحِشَ**»: ذُو الْفُحْشِ فِي كَلَامِهِ وَفَعَالِهِ، وَهُوَ كُلُّ مَا يَشْتَدُّ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَكَثِيرًا مَا تَرِدُ الْفَاحِشَةُ بِمَعْنَىٰ الزِّنَىٰ، وَكُلُّ خَصْلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَةٌ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

«**الْبَذِيَّ**»: الْفَاحِشُ فِي قَوْلِهِ، وَبَذَا الرَّجُلُ: إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ، الْبَذَاءُ: الْكَلَامُ الْقَبِيحُ.

فَاللهُ -تَعَالَىٰ- يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: التَّرْغِيبُ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، وَصَاحِبُهَا مَحْرُومٌ مِنَ الْخَيْرِ، وَضَرُورَةُ التَّحَلِّي بِالرِّفْقِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّهُمَا يُزَيِّنَانِ الْمَرْءَ، وَيُجَمِّلَانِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ.(*).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَكُونُ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَإِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه بِلَفْظٍ آخَرَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

«**الْخُرْقُ**»، وَ«**الْخُرُقُ**» -بِالضَّمِّ وَالتَّسْكِينِ-: الْجَهْلُ، وَالْحُمْقُ، وَالْعُنْفُ، وَالْغِلْظَةُ وَالشِّدَّةُ، وَهُوَ يُطْلَقُ فِي الْغَالِبِ عَلَىٰ الْحُمْقِ، **يُقَالُ**: رَجُلٌ أَخْرَقُ، وَامْرَأَةٌ خَرْقَاءُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٥٧-٢٠٦٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ (٧٠٠٢)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (٢٥)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (٧٩٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْمُتَّفِقِ وَالْمُفْتَرِقِ» (١٣٥١)، مِنْ طَرِيقِ: كَثِيرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٦٣).

«**وَإِنَّ اللهَ رَفِيقٌ**»: لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ، وَلَا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ.

وَ «**الرِّفْقُ**»: لِينُ الْجَانِبِ، وَحُسْنُ الصَّنِيعِ.

«**لَا يَكُونُ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»؛ أَيْ: إِلَّا جَرَّ إِلَيْهِ الْعَيْبَ وَالْقُبْحَ، «**فَالشَّيْنُ**»: الْعَيْبُ.

فَيَكُونُ هَذَا الْخُلُقُ شَائِنًا مُشِينًا لِأَصْحَابِهِ، جَالِبًا وَجَارًّا إِلَيْهِمُ الْعَيْبَ وَالْقُبْحَ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَضْلُ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ وَرَعِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ.

وَفِيهِ: مَفْسَدَةُ مَا يَقُودُ إِلَيْهِ الْحُمْقُ وَالْجَهْلُ وَالتَّسَرُّعُ مِنْ تَقْبِيحِ الْأُمُورِ وَإِفْسَادِهَا.

وَفِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ للهِ -تعَالَىٰ-؛ فَاللهُ ﷻ يُحِبُّ وَيُحَبُّ، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَفِي الْحَدِيثِ: جَوَازُ تَسْمِيَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- (رَفِيقًا)، وَإِثْبَاتُ مَا يُثْبَتُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَبَيَانُ أَنَّ الْخُرْقَ يَقُودُ إِلَىٰ الْعُنْفِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كُنْتُ عَلَىٰ بَعِيرٍ فِيهِ صُعُوبَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[1].

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

«**فِيهِ صُعُوبَةٌ**»: «الصُّعُوبَةُ»: عَدَمُ الِانْقِيَادِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٩٤).

«**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**» أَيْ: بِلِينِ الْجَانِبِ، وَبِالِاقْتِصَادِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَالْأَخْذِ بِأَيْسَرِ الْوُجُوهِ وَأَقْرَبِهَا وَأَحْسَنِهَا.

«**إِلَّا زَانَهُ**»: إِلَّا زَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ وَحَسَّنَهُ.

«**لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»: إِذَا نُزِعَ الرِّفْقُ فَإِنَّهُ يَكُونُ الْخُرْقُ، وَالْحُمْقُ، وَالْعُنْفُ، وَالشَّيْنُ، وَالْعَيْبُ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٧٤-٢٠٨٤).

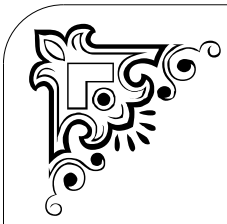

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى: الرَّفِيقُ

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-: اسْمُهُ -تَعَالَىٰ- (الرَّفِيقُ).

وَالرِّفْقُ: ضِدُّ الْعُنْفِ.

وَرَفُقَ بِالْأَمْرِ وَلَهُ وَعَلَيْهِ.

يَرْفُقُ رِفْقًا: لَطُفَ.

فَالرِّفْقُ: لِينُ الْجَانِبِ، وَلَطَافَةُ الْفِعْلِ.

وَالرَّفِيقُ: الْمُرَافِقُ، وَالْجَمْعُ: الرُّفَقَاءُ، وَالْمِرْفَقُ: مَا اسْتُعِينَ بِهِ.. مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَىٰ أَمْرِ الْحَيَاةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ**».

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا جَاءَهُ الْيَهُودُ، فَأَلْقَوْا عَلَيْهِ السَّلَامَ سُمًّا، فَقَالُوا: «السَّامُ -أَيِ: الْمَوْتُ- عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ».

قَالَ: «**وَعَلَيْكُمْ**».

فَفَهِمَتْهَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **فَقَالَتْ**: «بَلْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ».

وَلَمْ تَعْدُ الْحَقَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»، وَهُمْ إِخْوَانُ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ بِلَا مُدَافِعٍ.

إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ**».

فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!».

قَالَ: «**بَلَىٰ، سَمِعْتُ وَأَجَبْتُ، يُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**» ﷺ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ**»(١).

فَبِهَذَا ثَبَتَ الِاسْمُ، وَبِمَا هُوَ أَوْضَحُ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ؛ كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرج البخاري (٤٤٤٩)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلتي، وبين سَحْري ونَحْري، ودخل عبدُالرحمنِ بنُ أبي بكرٍ ومعه سواكٌ رَطبٌ، فنظر إليه، حتىٰ ظننتُ أنه يُريدُه، فأخذتُه، فمضغتُه ونفضتُه وطيَّبتُه، ثم دفعتُه إليه فاستَنَّ به كأحسنِ ما رأيتُه مُستَنًّا قطُّ، ثم ذهب يرفعُه إليَّ فسقطَتْ يدُه، فأخذتُ أدعو له بدعاءٍ كان يدعو به له جبريلُ، وكان هو يدعو به إذا مرِضَ، فلم يدعُ به في مرضِه ذاك فرفَع بصرَه إلىٰ السماءِ وقال: «**الرَّفيقَ الأَعْلىٰ**»، وفاضتْ نفسُه، فالحمدُ لله الذي جمع بين رِيقي وريقِه في آخر يومٍ من الدُنيا».

الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ**».

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: «**فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ**»، ثُمَّ قَضَىٰ ﷺ».

وَمَعْنَىٰ الِاسْمِ فِي حَقِّهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ حَسَبِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالِاصْطِلَاحِ؛ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِجَمَالِ كَمَالِ جَلَالِهِ -سُبْحَانَهُ-؛ فَهُوَ الرَّفِيقُ كَثِيرُ الرِّفْقِ.

* **وَالرِّفْقُ: اللِّينُ وَالتَّسْهِيلُ**، وَضِدُّهُ: الْعُنْفُ وَالتَّشْدِيدُ وَالتَّصْعِيبُ.

* **وَيَجِيءُ الرِّفْقُ -أَيْضًا-: بِمَعْنَىٰ الْإِرْفَاقِ: وَهُوَ إِعْطَاءُ مَا يُرْتَفَقُ بِهِ.**

وَهُمَا كِلَاهُمَا صَحِيحَانِ فِي حَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

مِنَ الرِّفْقِ بِمَعْنَىٰ اللِّينِ وَالتَّسْهِيلِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ ضِدُّ -أَيِ: الرِّفْقُ- الْعُنْفِ وَالتَّشْدِيدِ وَالتَّصْعِيبِ.

فَهَذَا مَعْنًىٰ.

وَالْمَعْنَىٰ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الرِّفْقُ بِمَعْنَىٰ: الْإِرْفَاقِ: وَهُوَ إِعْطَاءُ مَا يُرْتَفَقُ بِهِ.

وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي حَقِّهِ -تَعَالَىٰ-؛ **إِذْ هُوَ الْمُيَسِّرُ وَالْمُسَهِّلُ لِأَسْبَابِ الْخَيْرِ كُلِّهَا، وَالْمُعْطِي لَهَا**، وَأَعْظَمُهَا تَيْسِيرُ الْقُرْآنِ لِلْحِفْظِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢]، وَلَوْلَا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ التَّيْسِيرِ مَا قَدَرَ عَلَىٰ حِفْظِهِ أَحَدٌ، وَلَا تَيْسِيرَ إِلَّا بِتَيْسِيرِهِ، وَلَا مَنْفَعَةَ إِلَّا بِإِعْطَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

*** وَيَجِيءُ الرِّفْقُ -أَيْضًا- بِمَعْنَىٰ: التَّمَهُّلِ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّأَنِّي فِيهَا.**

لُغَةً يُقَالُ: رَفَقْتُ الدَّابَّةَ، أَرْفُقُهَا رِفْقًا: إِذَا شَدَدْتُ عَضُدَهَا بِحَبْلٍ لِتُبْطِئَ فِي مَشْيِهَا، فَأَخَذَ عَلَيْهَا السُّرْعَةَ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ مُسْرِعَةً.

وَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ الرَّفِيقُ فِي حَقِّهِ -تَعَالَىٰ- بِمَعْنَىٰ: الْحَلِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ لِلْعُصَاةِ لِيَتُوبَ عَلَىٰ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ، وَلِيَزْدَادَ إِثْمًا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ.

إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ، لَيْسَ بِعَجُولٍ، وَإِنَّمَا هُوَ الْحَلِيمُ، وَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ.

لِمَ يَعْجَلُ الْمُتَعَجِّلُونَ؟!

إِنَّمَا يَعْجَلُونَ لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ الْفَوْتَ، فَأَمَّا مَنْ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ فِي قَبْضَتِهِ وَمُلْكِهِ فَلَيْسَ يَعْجَلُ فِيهَا؛ إِذْ مَاذَا يَخَافُ ﷻ؟!

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ**»: **قَالَ النَّوَوِيُّ**[1]: «فِيهِ تَصْرِيحٌ بِتَسْمِيَتِهِ ﷻ وَوَصْفِهِ بِـ(رَفِيقٍ)، **وَقَالَ: وَالصَّحِيحُ**: جَوَازُ تَسْمِيَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- (رَفِيقًا)، وَغَيْرَهُ مِمَّا ثَبَتَ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَهَذَا وَاضِحٌ جِدًّا كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»[2]».

---

(١) «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٦/ ١٤٥-١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَهُوَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الْعَقَائِدَ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ، وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ، وَأُولَئِكَ الْأَفْرَاخُ وَالزَّعَانِفُ مِمَّنْ يَرُدُّونَ أَحَادِيثَ الْآحَادِ فِي الِاعْتِقَادِ؛ فَقَوْلُهُمْ فَائِلٌ، وَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ -رَحْمَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عُلَمَائِنَا الْأَقْدَمِينَ وَعَلَىٰ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْبَاقِينَ-؛ فَعُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي أُمُورِ الِاعْتِقَادِ مَتَىٰ ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَإِذَا آمَنَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بِاسْمِهِ -تَعَالَىٰ- (الرَّفِيق)؛ أَوْرَثَهُ هَذَا الْإِيمَانُ آثَارًا:

أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- مَوْصُوفٌ بِالرِّفْقِ، وَمِنْ صِفَاتِهِ: الرِّفْقُ؛ إِمَّا صِفَةُ ذَاتٍ، أَوْ صِفَةُ فِعْلٍ.

فَنَقَلَ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَبُو يَعْلَىٰ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللهُ الْإِمَامُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَفِيقُ! ارْفُقْ بِنَا فِي أَحْكَامِكَ.

وَلِأَنَّ ذَلِكَ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ مُنْعَقِدٌ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَوْصُوفٌ بِالرِّفْقِ، وَرِفْقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَظْهَرُ فِي رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَهُوَ مَا لَا يُحْصَىٰ وَلَا يُعَدُّ وَلَا يُسْتَقْصَىٰ بِحَالٍ أَمَدًا وَلَا أَبَدًا، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ فَوْقَ ذَلِكَ؛ فَرِفْقُ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يَظْهَرُ فِي رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ بِعِبَادِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا.

فَمِنْ رِفْقِهِ -سُبْحَانَهُ- بِعِبَادِهِ: إِمْهَالُهُ لِلْعُصَاةِ مِنْهُمْ لِيَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ شَاءَ

لَعَاجَلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ؛ لَكِنَّهُ رَفَقَ بِهِمْ وَتَأَنَّىٰ لِيَحْصُلَ لَهُمْ مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ.

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَأَهْلَهُ؛ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، **قِيلَ**: مِنَ الثَّوَابِ، **وَقِيلَ**: يَتَأَتَّىٰ مَعَهُ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يَتَأَتَّىٰ مَعَ ضِدِّهِ -أَيْ: مَعَ الْعُنْفِ-.

وَهَذَا مُجَرَّبٌ، مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَزِيدِ كَلَامٍ.

يَتَأَتَّىٰ مَعَ الرِّفْقِ وَالتَّأَنِّي مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَالشَّيْءِ الْكَثِيرِ فِي الْعَاقِبَةِ مَا لَا يَتَأَتَّىٰ مَعَ الْعُنْفِ.

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ اسْتِعْمَالِ الرِّفْقِ حَتَّىٰ مَعَ الْأَعْدَاءِ -أَحْيَانًا-؛ فَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: «بَابُ: الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، وَأَوْرَدَ فِيهِ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالُوا: «السَّامُ عَلَيْكُمْ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ».

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**».

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(١).

وَعَنْهَا رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٢). وَهَذَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».(*).

❀❀❀

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ» (الْمُحَاضَرَة: ١٤)، الثُّلَاثَاءُ ٢٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٢٧هـ| ١٨-٧-٢٠٠٦م.

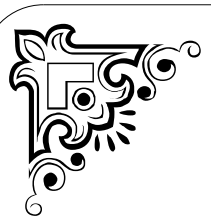

النَّبِيُّ ﷺ نَمُوذَجٌ مُجَسَّدٌ فِي الرِّفْقِ

وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَجَدَ أَنَّهَا عَامِرَةٌ بِالرِّفْقِ وَالْأَنَاةِ، وَبِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالْآدَابِ الْكَامِلَةِ، فَكَانَ ﷺ قُدْوَةً لِلْعَالَمِينَ، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَمَنْ يُطَالِعْ سِيرَتَهُ الْعَطِرَةَ يَجِدْ عَجَبًا فِي تَمَثُّلِهِ ﷺ بِصِفَةِ الرِّفْقِ فِي تَعَامُلَاتِهِ فِي شُؤُونِهِ كُلِّهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كَانَ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ وَلَيْسَ أَحَدٌ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْهُ، فَمَا أَنْ يَرَاهُ وَيَرَىٰ رِفْقَهُ وَحُسْنَ تَعَامُلِهِ إِلَّا وَيَتَحَوَّلُ مِنْ سَاعَتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ.

وَتَأَمَّلْ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ سَيِّدِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ رضي الله عنه، عِنْدَمَا جِيءَ بِهِ، وَرُبِطَ فِي سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ فَكَانَ ﷺ يَمُرُّ عَلَيْهِ، وَيُحَادِثُهُ وَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ بِرِفْقٍ إِلَىٰ أَنْ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! وَاللهِ! مَا كَانَ

عَلَىٰ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَوَاللهِ! مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ! مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ»(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَتَحَوَّلَ رضي الله عنه وَلَيْسَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَرْضٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِهِ ﷺ.

قِصَصُ رِفْقِهِ وَأَنَاتِهِ ﷺ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَهْ! مَهْ!».

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ، وَدَعُوهُ**» أَيْ: لَا تَقْطَعُوا عَلَيْهِ بَوْلَهُ.

فَتَرَكُوهُ حَتَّىٰ بَالَ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ، وَبِمَحْضَرٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**».

قَالَ: «فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ»(٢) أَيْ: فَصَبَّهُ عَلَيْهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه النسائي (١٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ، وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا».

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**لَقَدْ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا**» يَعْنِي: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**» -كَمَا فِي رِوَايَةٍ-، ثُمَّ وَلَّىٰ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَ يَبُولُ -وَالْفَشْجُ: تَفْرِيجُ مَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ-.

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقُهَ: «فَقَامَ إِلَيَّ -بِأَبِي وَأُمِّي-، فَلَمْ يُؤَنِّبْ، وَلَمْ يَسُبَّ»، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ، إِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَلِلصَّلَاةِ**».

ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلٍ -أَيْ: دَلْوٍ- مِنْ مَاءٍ فَأُفْرِغَ عَلَىٰ بَوْلِهِ»(١). رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قَوْلُهُ: «**دَعُوهُ**» أَيِ: اتْرُكُوهُ يُكْمِلُ بَوْلَهُ فِي مَوْضِعِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قُطِعَ عَلَيْهِ بَوْلُهُ لَتَضَرَّرَ، وَلَوْ أَقَامُوهُ فِي أَثْنَائِهِ لَتَنَجَّسَتْ ثِيَابُهُ وَبَدَنُهُ، وَمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٨).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟».

فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.**

قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟!».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ! مَا قَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا».

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: «مَهْ مَهْ!!».

فَقَالَ: «**ادْنُهْ**».

فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟!**».

قَالَ: «لَا وَاللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ».

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟!**».

قَالَ: «لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ».

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟!**».

قَالَ: «لَا وَاللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ».

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟!**».

قَالَ: «لَا وَاللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ».

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟!**».

قَالَ: «لَا وَاللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ».

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**».

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ»(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: «هَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ**

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

هَذِهِ هِيَ أَمْثِلَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ رِفْقِهِ ﷺ، وَمَا أَكْثَرَهَا فِي حَيَاتِهِ؛ بَلْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا رِفْقٌ وَحِلْمٌ، وَأَنَاةٌ وَصَبْرٌ، وَحُسْنُ مُعَامَلَةٍ، وَجَمِيلُ خُلُقٍ؛ فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ لَنَا فِيهِ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ، وَالْقُدْوَةَ الصَّالِحَةَ.(*).

(١) أخرجه البخاري (٦٣١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ الرِّفْقِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ» - الِاثْنَيْنِ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٤هـ| ١٩-١٢-٢٠٢٢م.

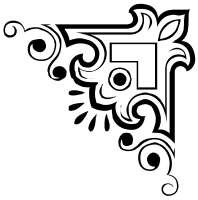

الرِّفْقُ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ

إِنَّ الرِّفْقَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَجَلِّهَا، وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا، وَأَكْثَرِهَا نَفْعًا؛ فَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ وَحَسَّنَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَعَابَهُ وَقَبَّحَهُ، وَقَدْ حَثَّنَا الشَّرْعُ الْحَنِيفُ عَلَى الرِّفْقِ مَعَ عُمُومِ الْخَلْقِ، وَمِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُعَامَلَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْجَمِيلَةِ -الرِّفْقِ- الْوَالِدَانِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

«لَمَّا نَهَىٰ -تَعَالَىٰ- عَنِ الشِّرْكِ بِهِ؛ أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: قَضَاءً دِينِيًّا وَأَمَرَ أَمْرًا شَرْعِيًّا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾؛ لِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَهُ كُلُّ صِفَةِ كَمَالٍ، وَلَهُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ أَعْظَمُهَا عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الْمُنْعِمُ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الدَّافِعُ لِجَمِيعِ النِّقَمِ، الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ، فَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَغَيْرُهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ حَقِّهِ الْقِيَامَ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ أَيْ:

أَحْسَنُوا إِلَيْهِمَا بِجَمِيعِ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ الْقَوْلِيِّ وَالْفِعْلِيِّ؛ لِأَنَّهُمَا سَبَبُ وُجُودِ الْعَبْدِ وَلَهُمَا مِنَ الْمَحَبَّةِ لِلْوَلَدِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْقُرْبِ مَا يَقْتَضِي تَأَكُّدَ الْحَقِّ وَوُجُوبَ الْبِرِّ.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أَيْ: إِذَا وَصَلَا إِلَىٰ هَذَا السِّنِّ الَّذِي تَضْعُفُ فِيهِ قُوَاهُمَا وَيَحْتَاجَانِ مِنَ اللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: وَهَذَا أَدْنَىٰ مَرَاتِبِ الْأَذَىٰ نَبَّهَ بِهِ عَلَىٰ مَا سِوَاهُ، وَالْمَعْنَىٰ: لَا تُؤْذِهِمَا أَدْنَىٰ أَذِيَّةٍ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أَيْ: تَزْجُرُهُمَا وَتَتَكَلَّمُ لَهُمَا كَلَامًا خَشِنًا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾: بِلَفْظٍ يُحِبَّانِهِ، وَتَأَدَّبْ وَتَلَطَّفْ بِكَلَامٍ لَيِّنٍ حَسَنٍ يَلَذُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمَا وَتَطْمَئِنُّ بِهِ نُفُوسُهُمَا، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَالْأَزْمَانِ.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أَيْ: تَوَاضَعْ لَهُمَا ذُلًّا لَهُمَا وَرَحْمَةً وَاحْتِسَابًا لِلْأَجْرِ، لَا لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْهُمَا، أَوِ الرَّجَاءِ لِمَا لَهُمَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الَّتِي لَا يُؤْجَرُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أَيِ: ادْعُ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا؛ جَزَاءً عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِمَا إِيَّاكَ صَغِيرًا.

وَفُهِمَ مِنْ هَذَا أَنَّهُ كُلَّمَا ازْدَادَتِ التَّرْبِيَةُ ازْدَادَ الْحَقُّ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَوَلَّىٰ تَرْبِيَةَ الْإِنْسَانِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً غَيْرَ الْأَبَوَيْنِ؛ فَإِنَّ لَهُ عَلَىٰ مَنْ رَبَّاهُ حَقَّ التَّرْبِيَةِ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٣٠).

إِنَّ دُخُولَ الرِّفْقِ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ عَلَامَةُ خَيْرٍ؛ فَيَنْبَغِي التَّعَامُلُ مَعَ الزَّوْجَاتِ وَالْأَوْلَادِ بِالرِّفْقِ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(١). أَخرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُلَاطَفَةُ النِّسَاءِ وَالْإِحسَانُ إِلَيْهِنَّ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ عِوَجِ أَخْلَاقِهِنَّ، وَاحْتِمَالُ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَرَاهِيَةُ طَلَاقِهِنَّ بِلَا سَبَبٍ، وَأَنَّهُ لَا يُطْمَعُ بِاسْتِقَامَتِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ».

وَقَالَ ﷺ: «**لا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**». رَوَاهُ مُسلِمٌ(٤).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٥): «أَيْ: يَنْبَغِي أَلَّا يُبْغِضَهَا؛ لِأَنَّهُ إِنْ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ٦١، رقم ٢٣٦)، والترمذي في «**الجامع**»: (١/ ١٨٩-١٩٠، رقم ١١٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٢٠٠، رقم ٦١٢) مختصرا، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (١/ ٤٢٩-٤٣٤، رقم ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٢٥٢-٢٥٣، رقم ٥١٨٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩٠-١٠٩١، رقم ١٤٦٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٥٨).

يَكْرَهُهُ؛ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يَرْضَاهُ، بِأَنْ تَكُونَ شَرِسَةَ الأَخلَاقِ؛ لَكِنَّهَا دَيِّنَةٌ، أَوْ عَفِيفَةٌ، أَوْ رَفِيقَةٌ بِهِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ». (*).

الْوَصِيَّةُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ، وَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. (*/٢).

وَقَالَ ﷺ: «**خَيرُكُم خَيرُكُم لِأَهلِهِ، وَأَنَا خَيرُكُم لِأَهلِي**»(٣).

وَقَالَ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ**»(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَمَا ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً قَطُّ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا بِيَدِهِ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠- ٥- ٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُقُوقُ الزَّوْجَةِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٩هـ| ٥- ٩- ٢٠٠٨م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٧٠٩، رقم ٣٨٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٦٣٦، رقم ١٩٧٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٥٧٥-٥٧٧، رقم ٢٨٥)، وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مرفوعا، بنحوه.

(٤) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٤/ ٢٢٠، رقم ٤٦٨٢) مختصرا، والترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٤٥٧، رقم ١١٦٢) واللفظ له، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٥٧٣-٥٧٥، رقم ٢٨٤)، وروي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، مرفوعا، بنحوه.

سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ ﷻ»(١). رَوَاهُ مُسلِمٌ.

وَمِنْ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَزْوَاجِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ-: أَنَّهُ أَمَرَ سَائِقَ إِبِلِهِنَّ أَنْ يَرْفُقَ بِهِنَّ؛ فَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَىٰ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»(٢).

وَعَنهُ رضي الله عنه قَالَ: كَان لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوتِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُوَيدًا يَا أَنجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ القَوَارِيرَ**»؛ يَعنِي: ضَعَفَةَ النِّسَاءِ، رَوَاهُ مُسلِمٌ.(*).

وَمِنْ دَلَائِلِ أَهَمِّيَّةِ الرِّفْقِ بِالْأَوْلَادِ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ مُرَّةَ أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَدُعِينَا إِلَىٰ طَعَامٍ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨١٤، رقم ٢٣٢٨)، والحديث أصله في «الصحيحين» بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٥٣٨، رقم ٦١٤٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨١١-١٨١٢، رقم ٢٣٢٣).

وفي رواية لمسلم: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُوَيْدًا يَا أَنْجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ**» يَعْنِي: ضَعَفَةَ النِّسَاءِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠- ٥- ٢٠١٦م.

وَمَرَّةً هَاهُنَا، يُضَاحِكُهُ حَتَّىٰ أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ وَالْأُخْرَىٰ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ**»(١). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَسَلَكَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

«سِبْطَانِ»: «السِّبْطُ»: وَلَدُ الْبِنْتِ، مَأْخَذُهُ مِنَ «السَّبَطِ» -بِالْفَتْحِ-: وَهِيَ شَجَرَةٌ لَهَا أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ وَأَصْلُهَا وَاحِدٌ، كَأَنَّ الْوَالِدَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ، وَكَأَنَّ الْأَوْلَادَ بِمَنْزِلَةِ الْأَغْصَانِ.

قَالَ الْقَاضِي(٢): «السِّبْطُ»: وَلَدُ الْوَلَدِ؛ أَيْ: هُوَ مِنْ أَوْلَادِ أَوْلَادِهِ(٣).

«حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ فَأَسْرَعَ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ»: يُرِيدُ أَنْ يَمْنَعَ الْحُسَيْنَ مِنَ الْحَرَكَةِ.

---

(١) **أخرجه البخاري في** «الْأَدَب الْمُفْرَد» (رَقْم ٣٦٤)، وأَخْرَجَهُ أيضا التِّرْمِذِيّ (رَقْم ٣٧٧٥)، وابْن مَاجَه (رَقْم ١٤٤) بلفظ: «... **أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا**،...» الحَدِيث، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح الْأَدَب الْمُفْرَد» (رَقْم ٢٧٩)، وَفِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَة» (٣/ رَقْم ١٢٢٧).

(٢) هُوَ القاضِي المُفَسِّرُ نَاصِرُ الدِّينِ عَبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَبُو الْخَيْرِ الْبَيْضَاوِيُّ، (المُتَوَفَّي ٦٨٥هـ)، انظر ترجمتَه: «طبقاتُ الشَّافِعِيةِ الكبرَىٰ» للسُّبْكِيِّ (٨/ ترجمة ١١٥٣)، و«الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٤/ ١١٠).

(٣) «تُحْفَةُ الأَبْرَارِ شَرحُ مَصَابِيحِ السُّنَّةِ» للبَيْضَاوِيِّ (٣/ ٥٦٢، رَقْم ١٥٧٠)، وانظر: «الصِّحَاحَ» للجَوْهَرِيِّ -مادة: سبط- (٣/ ١١٢٩).

«جَعَلَ الْغُلَامَ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا» أَيْ: يُحَاوِلُ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: تَوَاضُعُ النَّبِيِّ ﷺ وَشَفَقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ بِالْأَطْفَالِ، وَصِلَتُهُ بِأَرْحَامِهِ.

وَفِيهِ: مُضَاحَكَةُ الصَّبِيِّ، وَمُمَازَحَتُهُ وَاعْتِنَاقُهُ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِ، وَاسْتِحْبَابُ مُلَاطَفَةِ الصِّبِيِّ، وَاسْتِحْبَابُ مُدَاعَبَتِهِ؛ رَحْمَةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ، وَبَيَانُ خُلُقِ التَّوَاضُعِ مَعَ الْأَطْفَالِ وَغَيْرِهِمْ.

فَهَذا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ مَعَ عَظِيمِ مَسْؤُولِيَّتِهِ، وَمَعَ جَلِيلِ مَا نَاطَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِعُنُقِهِ، وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ يَجِدُ فِي صَدْرِهِ فُسْحَةً -وَمَا أَوْسَعَ صَدْرَهُ ﷺ- لِكَيْ يُلَاطِفَ حُسَيْنًا عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَهِيَ صُورَةٌ مُحَبَّبَةٌ، **فِيهَا شَفَقَةٌ، وَفِيهَا رِقَّةٌ، وَفِيهَا رَحْمَةٌ، وَفِيهَا رَأْفَةٌ** -فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ مَنْ وَصَفَهُ رَبُّهُ بِأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ-.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، **فَقَالَ**: «إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةً مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنه مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ١٦٣٦-١٦٤٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم ٥٩٩٧)، ومُسْلِم (رَقْم ٢٣١٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠- ٥- ٢٠١٦م.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ رِفْقًا بِخَدَمِهِ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟!»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هِيَ أَخْلَاقُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ أَلَّا يَقُولَ لِوَلَدِهِ مِنْ صُلْبِهِ عَشْرَ سِنِينَ.. أَلَّا يَقُولَ لَهُ: أُفٍّ، خِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ مِنَ الزَّمَانِ؟!

فَأَنَسٌ لَيْسَ بِوَلَدِهِ، وَهَذَا أَدْعَىٰ لِأَنْ يُعَامِلَهُ بِمَا لَمْ يُعَامِلْ بِهِ وَلَدَهُ، وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

«**أُفٍّ**»: كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ.

لَمْ تَصْدُرْ مِنْهُ قَطُّ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنَسٌ كَانَ صَبِيًّا بَعْدُ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ! لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ أَمُرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ** -وَالتَّصْغِيرُ لِلتَّدْلِيلِ- **! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟!**».

قَالَ: قُلْتُ: «نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢)أَخْرَجَهُ مُسْلِم (٢٣١٠).

فِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ كَمَالِ خُلُقِهِ ﷺ، وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ، وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ-.(*).

وَكَانَ ﷺ أَرْفَقَ النَّاسِ بِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَكَانَ يَحُثُّهُمْ عَلَى الرِّفْقِ بِالنَّاسِ؛ فَقَدْ كَانَ ﷺ إِذَا غَابَ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ، وَإِنْ كَانَ مُسَافِرًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَاتَ اسْتَغْفَرَ لَهُ وَصَلَّىٰ عَلَىٰ قَبْرِهِ رُبَّمَا، كَمَا فَعَلَ مَعَ بَعْضِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَكَانَ يَسْتَفْسِرُ عَنْ أَحْوَالِ أُمَّتِهِ، وَمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَكَانَ لَا يُقَبِّحُ الْحَسَنَ، وَإِنَّمَا كَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ، وَذَلِكَ لِاعْتِدَالِ أَمْرِهِ، وَعَدَمِ إِسْرَافِهِ فِي إِلْقَاءِ الْأَحْكَامِ، غَيْرَ مُتَنَاقِضٍ فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَفْعَلُ، وَكَانَ مُتَنَبِّهًا لِكُلِّ أَمْرٍ فِيهِمْ، فَكَانَ لَا يُثْقِلُ عَلَيْهِمْ بِالتَّكْلِيفِ أَوِ الْمَوْعِظَةِ، فَإِذَا وَعَظَهُمْ تَخَوَّلَهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ حَتَّىٰ لَا يَمَلُّوا.(*/٢).

وَقَدْ بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الرِّفْقِ الْغَايَةَ وَزَادَ عَلَيْهَا خَاصَّةً مَعَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى وَالْمُعْوِزِينَ؛ فَعِنْدَمَا رَجَعَ ﷺ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.. رَجَعَ يَقُولُ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، قَالَ: «**إِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَنِي شَيْءٌ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» (مُحَاضَرَة ٥٦)، الثُّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٤-٦-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» (مُحَاضَرَة ٥٦)، الثُّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٤-٦-٢٠١٤م.

قَالَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا وَاللهِ! لَا يُصِيبُكَ شَرٌّ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا»(١).(*).

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْضِي حَاجَاتِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ حِينَ «حَطَمَهُ النَّاسُ»(٣)، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَبْخَلْ بِشَيْءٍ -حَاشَاهُ- ﷺ.

كَانَ نَبِيُّنَا الْأَمِينُ ﷺ فِي حَاجَةِ الْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ وَالضَّعِيفِ..

كَانَ فِي حَاجَةِ الْكَسِيرِ..

كَانَ فِي حَاجَةِ الْحَسِيرِ..

كَانَ فِي حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ..

كَانَ فِي حَاجَةِ الثَّكَالَىٰ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ..

يَبْذُلُ نَفْسَهُ، وَتَأْخُذُ الْجَارِيَةُ بِكُمِّهِ بِيَدِهِ، تَسِيرُ مَعَهُ فِي أَيِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شَاءَتْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ﷺ(*/٢)؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (٣)، ومُسْلِم (١٦٠) من حَدِيث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (مُحَاضِرَة: ٧٧)، السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ| ٤-٢-٢٠١٢م.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِم (رَقْم ٧٣٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: «**نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ**».

يُقَالُ: (حَطَمَ فُلَانًا أَهْلَهُ): إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا، «شرح صَحِيح مُسْلِم» للنووي (٦/ ١٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «لَا تَظْلِمْ فِيهِ نَفْسَكَ!» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَب ١٤٣٠هـ| =

«أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: «إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً».

فَقَالَ: «**اجْلِسِي فِي أَيِّ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ، أَجْلِسْ إِلَيْكِ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنِّسَاءِ بِوَجْهٍ عَامٍّ، أَوْ بِكِبَارِ السِّنِّ، أَوْ بِضِعَافِ الْعُقُولِ، سَوَاءٌ كَانَ الضَّعْفُ الْعَقْلِيُّ نَتِيجَةً لِلشَّيْخُوخَةِ، أَوْ كَانَ مِنْ نَقْصٍ فِي الْخِلْقَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**اجْلِسِي فِي أَيِّ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ**». فَهَذَا لَا يَدُلُّ فَقَطْ عَلَىٰ تَوَاضُعِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ -أَيْضًا- عَلَىٰ شَفَقَةِ قَلْبِهِ ﷺ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِرْشَادٌ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا يَخْلُو الْأَجْنَبِيُّ بِالْأَجْنَبِيَّةِ، بَلْ إِذَا عَرَضَتْ لَهَا حَاجَةٌ يَجْلِسُ مَعَهَا بِمَوْضِعٍ لَا تُهْمَةَ فِيهِ؛ لِكَوْنِهِ بِطَرِيقِ الْمَارَّةِ؛ لِذَلِكَ قَالَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «**انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّىٰ أَقْضِيَ حَاجَتَكِ**»، فَيَجْلِسُ مَعَهَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَالْمَارَّةُ يَمُرُّونَ وَإِنْ كَانُوا بِغَيْرِ مَقْرَبَةٍ، وَلَكِنْ هَذَا أَنْفَىٰ لِلتُّهَمَةِ، فَيُعَلِّمُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

=

٢٦-٦-٢٠٠٩م.

(١) «الشَّمَائِل الْمُحَمَّدِيَّة» (رَقْم ٣٣٢)، وأَخْرَجَهُ أيضا مُسْلِم (رَقْم ٢٣٢٦)، بلفظ: «**يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّىٰ أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ**» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّىٰ فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا.

وَكَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ عِيَادَةُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَقَدْ وَصَلَ رِفْقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ **فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»(١). أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».(*).

النَّبِيُّ ﷺ يُخَالِطُ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ، وَاللُّطْفِ وَتَحَمُّلِ الْأَذَىٰ، مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ، حَلِيمًا بِهِمْ، صَبُورًا عَلَيْهِمْ، تَارِكًا لِلتَّرَفُّعِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ، مُتَجَنِّبًا لِلْغِلْظَةِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ ﷺ.(*/٢).

❀❀❀

(١) «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٣٠١٤، ٣٠١٥)، و«صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ١٧٤٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «دَاعِشُ وَذَبْحُ الْأَقْبَاطِ الْمِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ| ٢٠-٢-٢٠١٥م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» (مُحَاضَرَة: ٥٧)، الثُّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٤-٦-٢٠١٤م.

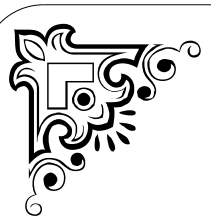

الرِّفْقُ بِذَوِي الْهَيْئَاتِ إِلَّا فِي الْحُدُودِ

لَقَدْ حَثَّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرِّفْقِ بِذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ إِلَّا فِيمَا يَخْتَصُّ بِحُدُودِ اللهِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ.

«**أَقِيلُوا**»: أَمْرٌ مِنَ الْإِقَالَةِ؛ أَيِ: اعْفُوا، وَاصْفَحُوا، وَارْفُقُوا.

«**ذَوِي الْهَيْئَاتِ**»: أَصْحَابَ الْمُرُوءَاتِ وَالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ «**عَثَرَاتِهِمْ**» أَيْ: زَلَّاتِهِمْ.

هَذَا الْخِطَابُ مُوَجَّهٌ لِلْأَئِمَّةِ الَّذِين إِلَيْهِمْ إِقَامَةُ الْعُقُوبَاتِ عَلَىٰ ذَوِي الْجِنَايَاتِ، **وَالْحُدُودُ مُسْتَثْنَاةٌ مِنْ ذَلِكَ**؛ فَإِنَّهُ لَا إِقَالَةَ فِيهَا، كَمَا قَالَ ﷺ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وذَكَرَ الْيَهُودَ: «**كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ فِيهِمْ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٤٧٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٣٧٥)، مِنْ طَرِيقِ: عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بِهِ. وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٧٥) (٣٧٣٢) (٣٧٣٣) (٤٣٠٤) (٦٧٨٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦٨٨)، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ طَرِيقِ: ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بِهِ.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ مَدْخَلٌ، فَقَالَ مُقْسِمًا: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

وَهَذَا مِنْ أَجْلِ رِعَايَةِ الْأُمُورِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ؛ حَتَّىٰ تَسْتَقِيمَ أَحْوَالُ الْخَلْقِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

«**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**» أَيْ: إِلَّا الْحُدُودَ.

«**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**»: كَذَلِكَ الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ أَوْ أَوْلِيَاؤُهُ، فَهُمْ مُخَاطَبُونَ أَيْضًا بِهَذَا الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ.

«**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**»: لِأَنَّ الْجِنَايَةَ لَيْسَتْ مِنْ أَخْلَاقِ ذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ وَالْخِصَالِ الْحَسَنَةِ الْحَمِيدَةِ، وَإِنَّمَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُمْ تَكُونُ هَفْوَةً مِنْهُمْ؛ فَالْأَحْسَنُ أَنْ يُصْفَحَ عَنْهُمْ.

«**عَثَرَاتِهِمْ**»: الْمُرَادُ بِالْعَثَرَاتِ: مَا يَثْبُتُ فِيهِ التَّعْزِيرُ، لَا إِقَامَةُ الْحَدِّ، وَإِنَّما يَثْبُتُ فِيهِ التَّعْزِيرُ بِسَبَبِ إِضَاعَةِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ، أَوْ مِنْ حُقُوقِ عِبَادِ اللهِ.

وَالْأَمْرُ هَاهُنَا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ لِلنَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ، وَلَيْسَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْوُجُوبِ وَالْإِلْزَامِ.

«**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**»: فَإِذَا مَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْهَنَاتِ مِنَ الرَّجُلِ آتَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مُرُوءَةً، وَخِصَالًا حَمِيدَةً، وَسِيرَةً مُسْتَقِيمَةً، فَوَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ فَهَذَا الْخِطَابُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ يَأْخُذُ بِيَدِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقُومَ مِنْ كَبْوَتِهِ، وَأَنْ

(١) التَّخْرِيجُ السَّابِقُ.

يَنْهَضَ مِنْ عَثْرَتِهِ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَىٰ سَالِفِ سِيرَتِهِ؛ لِكَيْ يَسْتَقِيمَ عَطَاؤُهُ كَمَا كَانَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

«**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ**»: وهُنَالِكَ زِيَادَةٌ هَامَّةٌ لِلْحَدِيثِ بِلَفْظِ: «**إِلَّا الْحُدُودَ**»؛ فَإِنَّ الْحُدُودَ لَا إِقَالَةَ فِيهَا، وَلَا شَفَاعَةَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْحَدِيثَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ، سَاكِتًا عَلَيْهِ، مُشِيرًا بِذَلِكَ إِلَىٰ تَقْوِيَتِهِ-: «وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ الشَّفَاعَةِ فِيمَا يَقْتَضِي التَّعْزِيرَ، وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ فِيهِ الِاتِّفَاقَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي نَدْبِ السَّتْرِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ، وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَىٰ مَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِمَامَ»(١).

أَمَّا إِذَا بَلَغَ الْإِمَامَ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ -حِينَئِذٍ- مِنْ إِنْفَاذِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّحَابِيِّ الَّذِي رَفَعَ سَارِقًا سَرَقَ شَمْلَتَهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ نَائِمًا، رَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! مِنْ أَجْلِ شَمْلَةٍ؟! هِيَ لَهُ».

قَالَ: «**فَهَلَّا كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ**»؟(٢).

---

(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (١٢/ ٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٩٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٨٨٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَسْبَاطَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: كُنْتُ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَىٰ خَمِيصَةٍ لِي ثَمَنُهَا ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاخْتَلَسَهَا مِنِّي، فَأُخِذَ الرَّجُلُ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ لِيُقْطَعَ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَتَقْطَعُهُ مِنْ أَجْلِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا؟ أَنَا أَبِيعُهُ وَأُنْسِئُهُ ثَمَنَهَا.

قَالَ: «**فَهَلَّا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ**»؟

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٢٣١٧).

فَإِذَنْ؛ الْأَمْرُ وَلَّىٰ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِنْفَاذِ حَدِّ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِيهِ.

فِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ احْتِرَامِ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ، وَالْأَقْوَالِ الْحَمِيدَةِ، وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، **وَالرِّفْقِ بِهِمْ**، وَعَدَمِ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِزَلَّاتِهِمْ.

وَالَّذِي يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِإِقَالَةِ ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ هُمْ وُلَاةُ الْأُمُورِ الَّذِينَ بِأَيْدِيهِمْ تَنْفِيذُ الْعُقُوبَاتِ، وَالْمُعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ إِنْ وُجِدُوا، أَوْ أَوْلِيَاؤُهُمْ عِنْدَ فَقْدِهِمْ، وَلِتَكُونَ هَذِهِ الْإِقَالَةُ لِعَثَرَاتِ هَؤُلَاءِ مَحْكُومَةً بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْحُدُودَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَىٰ السُّلْطَانِ، وَثَبَتَ مُوجِبُهَا ثُبُوتًا شَرْعِيًّا؛ فَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَتِهَا عَلَىٰ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؛ لِأَنَّ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟!**»، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»(١).

وَحَاشَاهَا -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا-؛ فَقَدْ حَفِظَهَا اللهُ وَحَمَاهَا.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٣٤٧٥، ٣٧٣٢، ٦٧٨٧، ٦٧٨٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦٨٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٣٧٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٤٣٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٢/ ٧٢: ٧٤)، وَابْنُ مَاجَه (٢٥٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٦٨-٢٠٧٣).

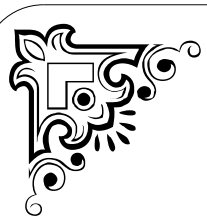

جَنَّةُ الرِّفْقِ وَنَارُ الْعُنْفِ فِي الْبُيُوتِ

الْبُيُوتُ الَّتِي تُبْنَىٰ عَلَىٰ الْعُنْفِ جَدَلٌ كُلُّهَا، وَعَنَاءٌ كُلُّهَا، وَصَخَبٌ كُلُّهَا، وَصُرَاخٌ كُلُّهَا، قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ مُعَجَّلَةٌ فِي حَالِ الْحَيَاةِ.

وَمَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ رِفْقٌ إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ، وَاسْتَقَامَتْ أُمُورُهُ جَمِيعُهَا.

وَأَمَّا الْعُنْفُ فَشَيْءٌ مُقَزِّزٌ تَمُجُّهُ النُّفُوسُ، وَتَعَافُهُ الطِّبَاعُ الْمُسْتَقِيمَةُ؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُشِينٌ شَائِنٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»: مِنَ الشَّيْنِ وَالْعَيْبِ، وَالْعَوْرَةِ بِالسَّوْأَةِ الْمَكْشُوفَةِ.

«**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**».

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -كَمَا رَوَىٰ ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ**».

مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ!

مَنْ كَانَ عَنِيفًا حَادًّا نِحْرِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقِرَّ عَلَىٰ قَرَارٍ، مُتَقَلِّبًا بِكُلِّ سَبِيلٍ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقِرَّ عَلَىٰ أَمْرٍ مُسْتَقِيمٍ؛ لَنْ يَتَأَتَّىٰ مِنْهُ خَيْرٌ.

«**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ**».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ رَفِيقًا فِي أُمُورِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ، غَيْرَ عَجِلٍ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَا تُفَارِقُهُ الْخَيْبَةُ وَالْخُسْرَانُ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ؛ الْحِلْمَ، وَالْأَنَاةَ**»(١). وَهَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

هَلْ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ تُدَاهِنَ؟!

حَاشَا وَكَلَّا..

هُوَ الْحَقُّ؛ وَلَكِنِ الْحَقُّ بِالرِّفْقِ، لَا بِالْعُنْفِ، وَإِنَّمَا الْحَقُّ هُوَ الْحَقُّ كَحَدِّ السَّيْفِ؛ وَلَكِنْ بِالرِّفْقِ.(*).

الرِّفْقُ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَكَذَلِكَ الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ سَعَادَةِ الْبُيُوتِ؛ فَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»: «بَابٌ: الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ» -كَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ مَوْلَىٰ الصِّدِّيقِ(٣)، رَضِيعُ عَائِشَةَ؛ فَهُوَ مِنْ مَحَارِمِهَا- قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: «أَمْسِكْ حَتَّىٰ أَخِيطَ نُقْبَتِي».

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ» (الْمُحَاضَرَة: ١٤)، الثُّلَاثَاءُ ٢٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٢٧هـ| ١٨-٧-٢٠٠٦م.

(٣) انْظُرْ: «التَّارِيخَ الْكَبِيرَ» (٧/ ٢٠٦) (٩٠١)، وَ«الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» (٧/ ١٥٥) (٨٦٢)، وَ«تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (٤٩٥٠).

فَأَمْسَكْتُ، فَقُلْتُ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ خَرَجْتُ فَأَخْبَرْتُهُمْ لَعَدُّوهُ مِنْكِ بُخْلًا».

قَالَتْ: «أَبْصِرْ شَأْنَكَ، إِنَّهُ لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخَلَقَ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

«**نُقْبَتِي**»: النُّقْبَةُ: السِّرْوَالُ الَّذِي لَا يَكُونُ فِيهِ مَوْضِعٌ لِشَدِّ الْحَبْلِ؛ أَيْ: يَكُونُ لَهُ حُجْزَةٌ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ نَيْفَقٌ.

وَالنَّيْفَقُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُخَاطُ؛ لِيُدْخَلَ فِيهِ التِّكَّةُ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّرَاوِيلِ، فَإِذَا كَانَ لَهَا نَيْفَقٌ وَسَاقَانِ فَهِيَ سَرَاوِيلُ؛ وَإِلَّا فَهِيَ نُقْبَةٌ.

«**يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ**»: فِيهِ تَلَطُّفٌ وتَأَدُّبٌ فِي النِّدَاءِ.

وَفِيهِ اخْتِيَارٌ لِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَىٰ لِمَنْ يُنَادَىٰ، وَاجْتِنَابُ مَا يَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ هَنَّادُ بْنُ السَّرِّيِّ فِي «الزُّهْدِ»، وَالْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٧/ ٢٠٦) (٩٠١)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «إِصْلَاحِ الدُّنْيَا» (٣٩٩)، مِنْ طَرِيقِ: سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِهِ.
وَأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٨/ ٧٣)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «إِصْلَاحِ الْمَالِ» (٣٩٨)، وَفِي «التَّوَاضُعِ» (١٣٥)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٢/ ٤٨)، مِنْ طَرِيقِ: شُعَيْبِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيعِ عَائِشَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِهِ.
وَحَسَّنَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٦٧).

«**لَوْ خَرَجْتُ فَأَخْبَرْتُهُمْ لَعَدُّوهُ مِنْكِ بُخْلًا**»: فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا هذَا لَوْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ؟!!

«**أَبْصِرْ شَأْنَكَ**»؛ أَيْ: دَعْ عَنْكَ هَذَا.

«**الْخَلَقُ**»: الْقَدِيمُ.

قَالَتْ: «**أَبْصِرْ شَأْنَكَ، إِنَّهُ لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْخَلَقَ**».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ: «دَعْ عَنْكَ؛ لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ»(١).

وَهَذَا مِنْ مَأْثُورِ الْحِكْمَةِ: مَنْ لَيْسَ لَهُ قَدِيمٌ بَالٍ لَا جَدِيدَ لَهُ؛ إِنَّمَا يَكُونُ الْجَدِيدُ مِنْ بَعْدِ الْخَلَقِ؛ مِنْ بَعْدِ الْقَدِيمِ الْبَالِي.

«**الْخَلَقَ**»: مَنْ بَلِيَ ثَوْبُهُ فَهُوَ حِينَئِذٍ خَلَقٌ.

فَالْخَلَقُ مِنْ «خَلَقَ الثَّوْبُ» إِذَا بَلِيَ.

قَالَ الْأَشْجَعِيُّ:

الْـــبَسْ جَدِيـــدَكَ إِنِّـــي لَابِـــسٌ خَلَقِـــي

وَلَا جَدِيـــدَ لِمْـــنَ لَا يَلْـــبَسُ الْخَلَقَـــا

وَيُرْوَىٰ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصَدَّقَتْ بِمَالٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ رُؤِيَتْ تَرْقَعُ خِمَارًا لَهَا، فَقِيلَ لَهَا: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! تَتَصَدَّقِينَ بِمَالٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ تَرْقَعِينَ خِمَارَكِ!».

---

(١) أَخْرَجَهَا ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٨/ ٧٣).

فَقَالَتْ وَتَمَثَّلَتْ بِالْبَيْتِ:

الْـــبَسْ جَدِيـــدَكَ إِنِّـــي لَابِـــسٌ خَلَقِـــي

وَلَا جَدِيـــدَ لِمَـــنْ لَا يَلْـــبَسُ الْخَلَقَـــا

وَفِي «**تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ**»: «أَنَّ الرِّيَاشِيَّ قَالَ: إِنَّ أَسْمَاءَ بْنَ خَرَاجَةَ قَالَ يَوْمًا لِزَوْجَتِهِ: «اخْضِبِي لِي لِحْيَتِي».

فَقَالَتْ: «إِلَىٰ كَمْ تَرْقَعُ مِنْكَ؟!».

يَعْنِي: أَصَابَهُ شَيْبٌ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَخْضِبَ لَهُ لِحْيَتَهُ؛ لِيُغَيِّرَ شَيْبَهُ، فَقَالَتْ: إِلَىٰ كَمْ تَرْقَعُ مِنْكَ؟ يَعْنِي: هَذَا قَدْ بَلِيَ مِنْكَ؛ فَإِلَىٰ كَمْ تَرْقَعُ مِنْكَ؟!

فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عَيَّرْتِنِـــــي خَلَقًـــــا أَبْلَيْـــــتِ جِدَّتَـــــه

وَهَـــلْ رَأَيْـــتِ جَدِيـــدًا لَـــمْ يَعُـــدْ خَلَقًـــا؟

كَمَـــا لَبِسْـــتِ جَدِيـــدِي فَالْبَسِـــي خَلَقِـــي

فَـــلَا جَدِيـــدَ لِمَـــنْ لَا يَلْـــبَسُ الْخَلَقَـــا[1]

فَهِيَ تَقُولُ: قَدْ فَنِيَ شَبَابُهُ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ.

فَقَالَ: أَنْتِ أَفْنَيْتِهَا!

---

(١) «تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٩/ ٦٠).

فِي هَذَا الأَثَرِ: تَوَاضُعُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالِاقْتِصَادُ فِيهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ بِتَكْرَارِهَا وَدَوَامِهَا تُوَفِّرُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ؛ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ إِنْفَاقِ الْمَاءِ، وَإِلَىٰ إِهْدَارِهِ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَا يُضَيِّعُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالثِّيَابِ.

وَلْيَنْظُرْ: هَلْ يَضَعُ أَمْوَالَهُ فِي مَوَاضِعِهَا الصَّحِيحَةِ أَمْ لَا؟!

وَلْيَكُنْ لَنَا فِي هَذَا الْأَثَرِ ذِكْرَىٰ وَعِبْرَةٌ.

وَلِهَذَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ تَحْتَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ «**بَابٌ: الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ**»؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْلَحَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ وَفَّرَتْ عَلَيْهِ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ، وَيُمْكِنُ -حِينَئِذٍ- أَنْ يَجْعَلَهُ فِي مَحَالِّهِ، وَأَنْ يَضَعَهُ فِي مَوَاضِعِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ صَدَقَةً عَلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَإِقَامَةً لِأَمْرِ الْمُحْتَاجِينَ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ مُتَوَاضِعٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَفِي الْأَثَرِ: الْحَثُّ عَلَىٰ الِاقْتِصَادِ فِي الْمَلْبَسِ، وَأَنَّ مَنْ لَبِسَ الْخَلَقَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَنْ يُرْقَعَ، وَإِلَىٰ أَنْ يُخَاطَ فَقَدِ اقْتَصَدَ، وَمَنْ لَبِسَ الْجَدِيدَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فَهُوَ مُسْرِفٌ، وَالْإِسْرَافُ عَاقِبَتُهُ الْإِفْلَاسُ وَالْإِعْدَامُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٩٣-٢٠٩٩).

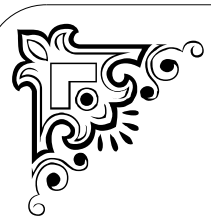

دَعْوَةُ النَّاسِ بِالرِّفْقِ وَثَمَرَتُهَا

عِبَادَ اللهِ! مَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ بِرِفْقٍ وَتَلَطُّفٍ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي يَدْعُو بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ يَقْبَلُ الْأَمْرَيْنِ؛ وَإِلَّا فَقَدْ تَعَيَّنَ مَا يَقْبَلُهُ الْمَحَلُّ.

فَإِذَا كَانَ الْمَحَلُّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الشِّدَّةَ فَعَلَيْكَ بِهَا.

وَإِذَا كَانَ الْمَحَلُّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الرِّفْقَ فَلَا تَتَعَدَّ الرِّفْقَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا لِلرِّفْقِ وَالشِّدَّةِ مَعًا؛ فَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ بِرِفْقٍ وَتَلَطُّفٍ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي يَدْعُو بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ.

وَاللهُ -تَعَالَىٰ- يَجْعَلُ لِلرِّفْقِ أَثَرًا لَا يَجْعَلُهُ لِلْعُنْفِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا مَعَ الْعُنْفِ إِلَّا مَنْ كَانَ فَاجِرًا، إِلَّا مَنْ كَانَ فِي طَبْعِهِ الْخُبْثُ وَالْمَكْرُ، وَالِالْتِوَاءُ وَالِاعْوِجَاجُ، فَهَذَا رُبَّمَا لَا يَنْفَعُ مَعَهُ إِلَّا الشِّدَّةُ.

وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي الْجُمْلَةِ يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الرِّفْقِ، وَكَذَا كَانَ رُسُلُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَذَا كَانَ سَيِّدُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ مِنَ الرِّفْقِ فِي غَايَةٍ، وَكَانَ يُعَامِلُ النَّاسَ مُعَامَلَةً حَسَنَةً، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ أَخْلَاقَهُ ﷺ فَوْقَ الْغَايَةِ وَالْمُنْتَهَىٰ فِي الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ؛ وَلِذَلِكَ فَاءَ النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَنَا فِيهِ الْأُسْوَةُ وَالْقُدْوَةُ.

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يَسُوسُ النَّاسَ السِّيَاسَةَ الْحَسَنَةَ؛ حَتَّىٰ لَا يُنَفِّرَ الْخَلْقَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا نَفَرُوا مِنَ الْإِسْلَامِ تَوَرَّطُوا فِي الْكُفْرِ، وَاقْتَحَمُوا الشِّرْكَ اقْتِحَامًا.

وَهَذَا رَجُلٌ يَأْتِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَطْلُبُ مِنْهُ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسُوسُهُ بِلِينٍ وَرِفْقٍ، وَيُعْطِيهِ فَلَا يَرْضَىٰ، ثُمَّ يُعْطِيهِ فَلَا يَرْضَىٰ، ثُمَّ يُعْطِيهِ فَلَا يَرْضَىٰ، فَإِذَا مَا انْصَرَفَ الرَّجُلُ، وَكَانَ الْأَصْحَابُ قَدْ هَمُّوا بِهِ مُسْتَأْذِنِينَ فِي الْأَخْذِ عَلَىٰ يَدَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّجُلُ لِطِيَّتِهِ قَالَ ﷺ: **«إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَضَلَّ بَعِيرَهُ** -نَفَرَ مِنْهُ بَعِيرُهُ وَشَرَدَ-، **فَأَخَذَ النَّاسُ يَتْبَعُونَهُ، فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا نُفُورًا، فَقَالَ صَاحِبُ الْبَعِيرِ لِلنَّاسِ: خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ بَعِيرِي، فَأَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْعُشْبِ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، فَأَقْبَلَ بَعِيرُهُ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ جَاءَ بِهِ وَزِمَامُهُ فِي يَدِهِ»**(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «أَمْثَالِ الْحَدِيثِ» (ص٣٠٠) (الدَّارُ السَّلَفِيَّةُ - الْهِنْدُ)، وَفِي «أَخْلَاقِ النَّبِيِّ وَآدَابِهِ» (١/ ٤٧٢)، مِنْ طَرِيقِ: إِبْرَاهِيم بْن الْحَكَم بْنِ أَبَانَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، وَأَغْلَظَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَوَثَبَ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا عَدُوَّ اللهِ، تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ: «**عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا أَمْسَكْتُمْ**».

فَدَعَاهُ؛ فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَعْطَاهُ؛ فَقَالَ: «**أَرَضِيتَ؟**».

=

فَأَخَذَ ﷺ يَسُوسُهُ حَتَّىٰ رَجَعَ بِهِ مِنْ نُفُورِهِ وَمِنْ نِفَارِهِ، وَالرَّسُولُ ﷺ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَوْ خَلَّىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فَقَتَلُوهُ لَدَخَلَ النَّارَ؛ وَلَكِنَّ النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ ﷺ يَسْتَنْقِذُهُ مِنْ هَذَا الَّذِي تَوَرَّطَ فِيهِ.

فَحَرِيٌّ بِكُلٍّ مِنَّا أَنْ يُرَاجِعَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَسْأَلَهَا: أَرَفِيقٌ أَنَا أَمْ عَنِيفٌ؟ أَرَفِيقٌ أَنَا أَمْ عَنِيفٌ؟

عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ هَذَا السُّؤَالَ، وَأَنْ يُجِيبَ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ بِلَا رَقِيبٍ سِوَاهُ: أَرَفِيقٌ أَنَا أَمْ عَنِيفٌ؟!

=

قَالَ: لَا.

ثُمَّ أَعْطَاهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «**أَرَضِيتَ؟**».

قَالَ: لَا.

ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**أَرَضِيتَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: **فَاخْرُجْ إِلَىٰ أَصْحَابِي فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ؛ فَإِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيْكَ شَيْئًا.**

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ؟، مَثَلُ رَجُلٍ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ فَنَفَرَتْ رَاحِلَتُهُ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ، فَمَا زَادُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَقَالَ: دَعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَاقَتِي مِنْكُمْ، فَعَمَدَ إِلَىٰ قُمَامِ الْأَرْضِ -يَعْنِي الْحَشِيشَ- فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: هُوِّي هُوِّي، حَتَّىٰ رَجَعَتْ، فَأَنَاخَهَا فَحَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ مَتْنِهَا، فَلَوْ تَرَكْتُكُمْ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ، دَخَلَ النَّارَ فَمَا زِلْتُ حَتَّىٰ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ وَقَالَ مَا قَالَ**».

وإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ: لَيْسَ بِثِقَةٍ، وَلَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ.

فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَغْشَاهُ مِنَ الْأَمَاكِنِ؛ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي الْبَيْتِ، وَفِي السُّوقِ، وَفِي الْعَمَلِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

أَرَفِيقٌ أَنَا أَمْ عَنِيفٌ؟!

إِيَّاكَ أَنْ تَنْسَىٰ هَذَا السُّؤَالَ، وَلَا تَنْسَ الْإِجَابَةَ عَنْهُ بِمَا تَصْدُقُ فِيهِ رَبَّكَ -تَعَالَىٰ-!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢١٠٢-٢١٠٥).

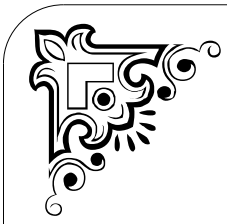

ثَمَرَاتُ الرِّفْقِ الْعَظِيمَةُ

إِنَّ لِلرِّفْقِ ثَمَرَاتٍ عَظِيمَةً، وَفَوَائِدَ جَلِيلَةً؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

«**رَفِيقٌ**»: مِنَ الرِّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ.

وَمِنْ رِفْقِ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِعِبَادِهِ: عَدَمُ تَعْجِيلِهِ الْعُقُوبَةَ لِلْعُصَاةِ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- يُمْهِلُهُمْ حَتَّىٰ يَتُوبُوا.

«**وَيُعْطِي عَلَيْهِ**» أَيْ: عَلَىٰ الرِّفْقِ.

وَمِمَّا يُعْطِيهِ عَلَىٰ الرِّفْقِ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالتَّوْفِيقُ فِي الْأَعْمَالِ مَعَ صَلَاحِ الْبَالِ، وَنَيْلِ الْمَطَالِبِ، وَتَحْقِيقِ الْمَآرِبِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَأَجْرٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٨٠٢) (١٦٨٠٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٦٨).

«**وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ**»: وَكُلُّ مَا فِي الرِّفْقِ مِنَ الْخَيْرِ فَفِي الْعُنْفِ مِنَ الشَّرِّ مِثْلُهُ.

فَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا دَخَلَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ.

وَقَدِيمًا قَالَ: الْحِلْمُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، وَهُوَ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللهُ، كَمَا قَالَ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ قَيْسٍ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»(١).

فَالْحِلْمُ مِنْ أَعْظَمِ الْخِصَالِ، وَمَنْ أُوتِيَ حِلْمًا فَقَدْ أُوتِيَ خُلُقًا خَيِّرًا عَظِيمًا، وَكَذَلِكَ الرِّفْقُ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: بَيَانُ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ «الرَّفِيقُ».

وَفِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ للهِ، وَهِيَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ حَقِيقَةً، لَا مَجَازًا كَمَا تَقُولُ الْفِرَقُ الْمُؤَوِّلَةُ؛ إِذْ كُلُّ صِفَاتِ اللهِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ يَجِبُ أَنْ تُثْبَتَ لَهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَمَنْهَجُهُمْ، بِخِلَافِ الْفِرَقِ الْهَالِكَةِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَأَهْلِ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: عُلُوُّ مَكَانَةِ الرِّفْقِ، وَأَنَّهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ فَجَاءَتِ النُّصُوصُ بِالْحَثِّ عَلَىٰ التَّحَلِّي بِهِ، وَذَمِّ الشِّدَّةِ وَالْعُنْفِ إِذَا اسْتُعْمِلَا فِي غَيْرِ مَحَلِّهِمَا.

دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْجَزَاءَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨**﴾ [الزلزلة: ٧-٨].(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨)، مِنْ طَرِيقِ: قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، بِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢١٠٠-٢١٠٦).

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الرِّفْقِ الْعَظِيمَةِ: أَنَّ مَنْ رَفَقَ بِعِبَادِ اللهِ رَفَقَ اللهُ بِهِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَهُوَ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَهُوَ سِتِّيرٌ يُحِبُّ مَنْ يَسْتُرُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَعَفُوٌّ يُحِبُّ مَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ، وَغَفُورٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَلَطِيفٌ يُحِبُّ اللَّطِيفَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُبْغِضُ الْفَظَّ الْغَلِيظَ الْقَاسِيَ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاظَ، وَرَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَحَلِيمٌ يُحِبُّ الْحِلْمَ، وَبَرٌّ يُحِبُّ الْبِرَّ وَأَهْلَهُ، وَعَدْلٌ يُحِبُّ الْعَدْلَ، وَقَابِلٌ لِلْمَعَاذِيرِ يُحِبُّ مَنْ يَقْبَلُ مَعَاذِيرَ عِبَادِهِ، وَيُجَازِي عَبْدَهُ بِحَسَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ وُجُودًا وَعَدَمًا.

فَمَنْ عَفَا عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ سَامَحَ سَامَحَهُ، وَمَنْ حَاقَقَ حَاقَقَهُ، وَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِهِ رَفَقَ بِهِ، وَمَنْ رَحِمَ خَلْقَهُ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ صَفَحَ عَنْهُ، وَمَنْ جَادَ عَلَيْهِمْ جَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُمْ سَتَرَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ هَتَكَهُمْ هَتَكَهُ وَفَضَحَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ مَنَعَهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَاقَّ اللهَ شَاقَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِهِ، وَمَنْ مَكَرَ مَكَرَ بِهِ، وَمَنْ خَادَعَ خَادَعَهُ، وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةٍ عَامَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِتِلْكَ الصِّفَةِ بِعَيْنِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَاللهُ -تَعَالَىٰ- لِعَبْدِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لِخَلْقِهِ.

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِ حِسَابَهُ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «الْوَابِلُ الصَّيِّبُ» (ص: ٨٠-٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَ «**مَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَثْرَتَهُ**»(١).

وَ «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»(٢)؛ لِأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَهُ فِي ظِلِّ الْإِنْظَارِ وَالصَّبْرِ، وَنَجَّاهُ مِنْ حَرِّ الْمُطَالَبَةِ وَحَرَارَةِ تَكَلُّفِ الْأَدَاءِ مَعَ عَسْرَتِهِ وَعَجْزِهِ؛ نَجَّاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ ظِلِّ الْعَرْشِ.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي فِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمًا: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ! لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**»(٣).

فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وَلِعِبَادِهِ». (*).

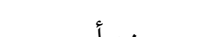

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) من حديث كعب بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٧٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الْوَابِلِ الصَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَة: ٩) - الْخَمِيسُ ٦ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٤٢هـ| ١٧-٦-٢٠٢١م.

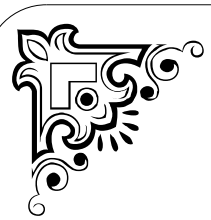

الْخَيْرُ فِي الرِّفْقِ وَالشَّرُّ فِي الْعُنْفِ

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْخَيْرَ فِي الرِّفْقِ كَمَا قَالَ ﷺ، وَمَفْهُومُ ذَلِكَ أَن الشَّرَّ فِي الْعُنْفِ، وَهُوَ -فَضْلًا عَمَّا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ- يُدَمِّرُ صِحَّةَ الْإِنْسَانِ، وَيُبَدِّدُ طَاقَةَ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ، وَيُشَوِّشُ عَلَيْهِ فِكْرَهُ، وَيَقْطَعُ مَوْصُولَ صِلَتِهِ بِالْخَلْقِ مِنْ حَوْلِهِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، وَأَمَّا الرِّفْقُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ.

إِنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ..

وَالرِّفْقُ يَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ كُلَّهَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٦٦-٢٠٦٧).

الْقَسْوَةُ لَيْسَتْ وَسِيلَةً لِلتَّرْبِيَةِ

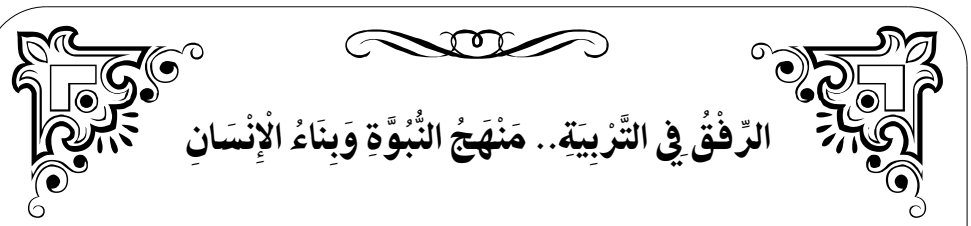

الرِّفْقُ فِي التَّرْبِيَةِ.. مَنْهَجُ النُّبُوَّةِ وَبِنَاءُ الْإِنْسَانِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

إِنَّ التَّرْبِيَةَ الْحَقَّةَ هِيَ بِنَاءٌ لِلْقُلُوبِ، وَغَرْسٌ لِلْقِيَمِ، وَتَشْكِيلٌ لِلنُّفُوسِ، وَإِذَا كَانَ لِكُلِّ بِنَاءٍ أَسَاسٌ فَإِنَّ أَسَاسَ التَّرْبِيَةِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الرَّحْمَةُ، وَرُوحُهَا الرِّفْقُ، وَغَايَتُهَا تَنْشِئَةُ إِنْسَانٍ سَوِيٍّ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُوَحِّدُهُ، وَيُفْرِدُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَيَطْمَئِنُّ فِي نَفْسِهِ، وَيُحْسِنُ التَّعَامُلَ مَعَ النَّاسِ، وَقَدْ قَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَالَمِ نَمُوذَجًا تَرْبَوِيًّا فَرِيدًا لَمْ يَقُمْ عَلَى التَّخْوِيفِ وَالْقَسْوَةِ، وَإِنَّمَا قَامَ عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَالِاحْتِوَاءِ، وَالْإِكْرَامِ، وَاحْتِرَامِ الْمَشَاعِرِ، حَتَّى أَصْبَحَتْ سِيرَتُهُ مَدْرَسَةً مُتَكَامِلَةً فِي التَّرْبِيَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فَبِسَبَبِ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَّقَكَ اللهُ لِلرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ بِأَصْحَابِكَ، وَأَلْقَىٰ فِي قَلْبِكَ دَاعِيَةَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ، فَسَهُلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَلِنْتَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ فِي

أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ، وَلَوْ كُنْتُ جَافِيًا مُتَجَهِّمَ الْوَجْهِ، سَيِّءَ الْخُلُقِ، قَلِيلَ الِاحْتِمَالِ، قَاسِيَ الْقَلْبِ، خَالِيًا مِنْ عَاطِفَةِ الرَّحْمَةِ؛ لَنَفَرُوا عَنْكَ وَتَفَرَّقُوا، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ مِنْهُمْ عِنْدَكَ.(*).

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ- فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

نُؤَكِّدُ لَكُمْ تَأْكِيدًا مُشَدَّدًا أَنَّهُ جَاءَكُمْ -أَيُّهَا الْعَرَبُ- رَسُولٌ مِنْ ذَوِي أَنْفُسِكُمْ تَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَحَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، شَدِيدٌ عَلَيْهِ وَشَاقٌّ عَلَىٰ نَفْسِهِ كُلُّ مَا هُوَ شَدِيدٌ وَشَاقٌّ عَلَىٰ نُفُوسِكُمْ، غَالِبٌ عَلَىٰ صَدْرِهِ مَشَقَّتُكُمُ الشَّدِيدَةُ وَهَلَاكُكُمْ وَضَرَرُكُمْ وَأَذَاكُمْ بِمَا فِي قَلْبِهِ نَحْوَكُمْ مِنْ رَأْفَةٍ شَدِيدَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَلَمَ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ حِينَمَا يَرَاكُمْ فِي مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ أَقْوَىٰ مِنَ احْتِمَالِ صَبْرِهِ فَهُوَ يَغْلِبُهُ.

حَرِيصٌ عَلَىٰ إِيمَانِكُمْ وَصَلَاحِ شَأْنِكُمْ، يَبْذُلُ غَايَةَ جُهْدِهِ فِي نُصْحِكُمْ، وَإِيصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْكُمْ، وَدَفْعِ الضُّرِّ وَالْأَذَىٰ عَنْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِيكُمْ وَيَضُرُّكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَهُوَ ﷺ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

وَإِذَا كَانَتْ رَحْمَتُهُ ﷺ قَدْ شَمَلَتِ الْأُمَّةَ كُلَّهَا فَقَدْ كَانَ الْأَطْفَالُ أَوْفَرَ النَّاسِ نَصِيبًا مِنْهَا؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَقْبِلُ الْمَوَالِيدَ بِالسُّرُورِ وَالتَّحْنِيكِ وَالدُّعَاءِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُؤْتَىٰ بِالصِّبْيَانِ، فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ، وَيحَنِّكُهُمْ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [آل عمران: ١٥٩].

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١١/ ١٥١، رقم ٦٣٥٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: =

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ ذِكْرٌ لِهَذِهِ السُّنَّةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي بِهَا.

وَ«**التَّحْنِيكُ**»: أَنْ تَمْضُغَ التَّمْرَ حَتَّىٰ يَلِينَ، ثُمَّ تَدْلُكُهُ بِحَنَكِ الصَّبِيِّ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُومَ بِتَحْنِيكِ الصَّبِيِّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ، وَيَدْعُوَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ -أَيْ: يَقُولُ: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ-.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه **قَالَ**: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَمَّاهُ: إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما **أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، قَالَتْ**: «فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ -أَيْ: وَهِيَ مُتِمٌّ أَشْهَرَ الْحَمْلِ-.

قَالَتْ: فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ، فَوَلَدْتُ بِقُبَاءَ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفِهِ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَبَرَّكَ عَلَيْهِ»(٢). (*).

=

(١/ ٢٣٧، رقم ٢٨٦) و(٣/ ١٦٩١، رقم ٢١٤٧) واللفظ له.

ولفظ البخاري: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَىٰ بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ**،...»، دون التبريك.

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٥٨٧، رقم ٥٤٦٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٩٠، رقم ٢١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٥٨٧، رقم ٥٤٦٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٩١، رقم ٢١٤٦).

وَلَمْ تَقْتَصِرْ رَحْمَتُهُ ﷺ عَلَى الْمَوَالِيدِ، بَلِ امْتَدَّتْ إِلَى الْأَطْفَالِ فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ؛ فَقَدْ رَوَىٰ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَىٰ صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ**»(٢). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

❀❀❀

=

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (فَصْلُ فِي الْوِلَادَةِ: الْمُحَاضَرَةُ: ٧٤)، الثُّلَاثَاء ١٨ مِنْ صَفَر ١٤٣٩هـ| ٧-١١-٢٠١٧م.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٢٩١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩١)، بإسناد صحيح.

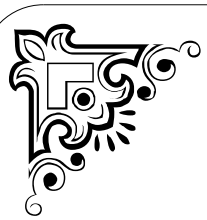

أَثَرُ الْمَحَبَّةِ فِي السَّوَاءِ النَّفْسِيِّ لِلْأَطْفَالِ

مِنْ أَبْرَزِ مَعَالِمِ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ الْمَحَبَّةَ كَانَتْ تُتَرْجَمُ إِلَى سُلُوكٍ عَمَلِيٍّ وَكَلِمَاتٍ صَرِيحَةٍ يَسْمَعُهَا الطِّفْلُ وَيَرَى آثَارَهَا، وَهَذَا الْمَنْهَجُ يُرَسِّخُ فِي نَفْسِ الطِّفْلِ الشُّعُورَ بِالْأَمَانِ وَالِانْتِمَاءِ، وَيُشْبِعُ حَاجَتَهُ الْفِطْرِيَّةَ مِنَ الْعَوَاطِفِ، وَهُوَ مَا يَنْعَكِسُ إِيجَابِيًّا عَلَى بِنَاءِ شَخْصِيَّتِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ النَّفْسِيِّ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ رَحِيمًا شَفِيقًا بِالْأَطْفَالِ؛ وَمِنْ تَوَاضُعِهِ ﷺ وَشَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْأَطْفَالِ؛ أَنَّهُ كَانَ يُضَاحِكُهُمْ؛ فَعَنْ يَعْلَىٰ بْنِ مُرَّةَ أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَدُعِينَا إِلَىٰ طَعَامٍ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا، يُضَاحِكُهُ حَتَّىٰ أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ وَالْأُخْرَىٰ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ».

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ**»(١). هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَسَلَكَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

---

(١) «**الأدب المفرد**»: (ص١٠٠، رَقْم ٣٦٤)، وأَخْرَجَهُ أيضا: التِّرْمِذِيّ في «**الجامع**»: (٥/ ٦٥٨، رَقْم ٣٧٧٥)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٥١، رَقْم ١٤٤)، بلفظ: «...، **أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا**،...» الحديث.

=

«السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

«**سِبْطَانِ**»: «السِّبْطُ»: وَلَدُ الْبِنْتِ، مَأْخَذُهُ مِنَ «السَّبَطِ» بِالْفَتْحِ وَهِيَ شَجَرَةٌ لَهَا أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ وَأَصْلُهَا وَاحِدٌ، كَأَنَّ الْوَالِدَ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ، وَكَأَنَّ الْأَوْلَادَ بِمَنْزِلَةِ الْأَغْصَانِ.

قَالَ الْقَاضِي(١): «السِّبْطُ»: وَلَدُ الْوَلَدِ؛ أَيْ: هُوَ مِنْ أَوْلَادِ أَوْلَادِهِ(٢).

«حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ»: يُرِيدُ أَنْ يَمْنَعَ الْحُسَيْنَ مِنَ الْحَرَكَةِ.

«جَعَلَ الْغُلَامَ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا»: أَيْ: يُحَاوِلُ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فِي الْحَدِيثِ: مُضَاحَكَةُ الصَّبِيِّ، وَمُمَازَحَتُهُ وَاعْتِنَاقُهُ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِ،

=

وَالحديث حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «**صَحِيحِ الأدبِ المُفرِدِ**»: (ص١٤٦، رَقْم ٢٧٩)، وَفِي «**السِّلْسِلَةِ الصَحِيحَةِ**»: (٣/ ٢٢٩، رَقْم ١٢٢٧).

(١) هُوَ القاضِي المُفَسِّرُ نَاصِرُ الدِّينِ عَبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَبُو الْخَيْرِ الْبَيْضَاوِيُّ، (المُتَوَفَّي ٦٨٥هـ).

انظر ترجمتَه: «**طبقاتُ الشَّافِعيةِ الكبرَىٰ**» للسُّبْكِيِّ: (٨/ ترجمة ١١٥٣)، و«**الأعلام**» للزِّرِكْلِيِّ: (٤/ ١١٠).

(٢) «**تُحْفَةُ الأَبْرَارِ شَرحُ مَصَابِيحِ السُّنَّةِ**» للبَيْضَاوِيِّ: (٣/ ٥٦٢، رَقْم ١٥٧٠)، وانظر: «**الصِّحَاحَ**»: (٣/ ١١٢٩)، مادة: سبط.

وَاسْتِحْبَابُ مُلَاطَفَةِ الصَّبِيِّ، وَاسْتِحْبَابُ مُدَاعَبَتِهِ؛ رَحْمَةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ، وَبيَانُ خُلُقِ التَّوَاضُعِ مَعَ الْأَطْفَالِ وَغَيْرِهِمْ.

فَهَذا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ مَعَ عَظِيمِ مَسْؤُولِيَّتِهِ، وَمَعَ جَلِيلِ مَا نَاطَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِعُنُقِهِ، وَمَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ وَالْبَلَاغِ وَأَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، يَجِدُ فِي صَدْرِهِ فُسْحَةً -وَمَا أَوْسَعَ صَدْرَهُ ﷺ!-؛ لِكَيْ يُلَاطِفَ حُسَيْنًا عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَهِيَ صُورَةٌ مُحَبَّبَةٌ، فِيهَا شَفَقَةٌ، وَفِيهَا رِقَّةٌ، وَفِيهَا رَحْمَةٌ، وَفِيهَا رَأْفَةٌ -فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ مَنْ وَصَفَهُ رَبُّهُ بِأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ-.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: مُعَانَقَةُ الصَّبِيِّ» [ص: ١٦٣٦-١٦٤٠].

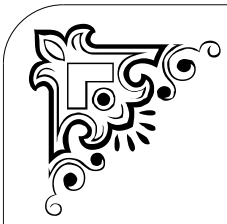

مِنْ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الْقَوِيمَةِ:
إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ بِالصَّغِيرِ

قَدْ يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ إِظْهَارَ الْحَنَانِ وَالْحُبِّ لِلْأَبْنَاءِ يُورِثُ الدَّلَالَ أَوْ يُضْعِفُ الشَّخْصِيَّةَ، غَيْرَ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ جَاءَتْ بِتَصْحِيحِ هَذَا التَّصَوُّرِ، وَأَكَّدَتْ أَنَّ الرَّحْمَةَ الظَّاهِرَةَ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ، وَأَنَّ جَفَافَ الْعَاطِفَةِ دَلِيلٌ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ؛ فَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟**»(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

«**أَوَأَمْلِكُ لَكَ**»: لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجْعَلَ الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِكَ، وَاللهُ نَزَعَهَا مِنْكَ؛ فَمَعْنَاهُ: إِنْ نَزَعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ فَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَضَعَهَا فِيهِ.(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٩٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٣١٧)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٦٦٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: قُبْلَةُ الصِّبْيَانِ» (ص: ٥٣٤-٥٣٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، **فَقَالَ**: «إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةً مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنه مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*).

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»(٣). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

«**الْعَاتِقُ**»: مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ وَالْعُنُقِ، فَحَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ.

فِي الْحَدِيثِ: مُلَاطَفَةُ الصِّبْيَانِ وَالرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ بِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ يَرْحَمُ الْخَلْقَ؛ لِأَنَّهُ مَرْحُومٌ يَرْحَمُهُ اللهُ «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَهَشُّ وَيَبَشُّ لِلصِّبْيَانِ، وَيُقَرِّبُهُمْ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ.

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ يُضَافُ إِلَىٰ أَدِلَّةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ اتِّسَاعِ أُفُقِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَمَا مَنَحَهُ اللهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ، لَاسِيَّمَا الضَّعِيفُ مِنْهُمْ، وَهُوَ ﷺ أُسْوَةُ أَتْبَاعِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْآدَابِ الَّتِي يَتَحَلَّىٰ بِهَا الْمُسْلِمُ أَدَبَ التَّوَاضُعِ وَلِينِ الْجَانِبِ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٤٢٦، رقم ٥٩٩٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨٠٨، رقم ٢٣١٨)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠ - ٥ - ٢٠١٦م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٤٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٢٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٧٨٢) (٣٧٨٣).

وَالرِّفْقِ وَالرَّحْمَةِ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْغُلَامِ، فَوَضَعَهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَحَمَلَهُ، وَزَوَّدَهُ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ الْمُسْتَجَابَةِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**».

وَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَحَبَّهُ رَسُولُهُ ﷺ فَقَدْ سَعِدَ، وَأَحْيَاهُ اللهُ حَيَاةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً.

فَيَجِبُ التَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ بِالْأَوْلَادِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِضَعْفِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَىٰ مَا يُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ، وَيَمْنَحُهُمُ الْأَدَبَ الَّذِي يَأْخُذُهُ الصَّغِيرُ مِنْ خُلُقِ الْكَبِيرِ.

وَهَذَا مَنْهَجُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، أَيْ أَنَّهُمْ أَهْلُ رِفْقٍ وَرَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ وَتَرْبِيَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِمُسْتَحِقِّيهَا، لَاسِيَّمَا الضَّعِيفُ كَالصِّغَارِ وَنَحْوِهِمْ.(*).

إِنَّ تَقْبِيلَ الْوَلَدِ مِنْ أَهْلِهِ -مِنَ الْمَحَارِمِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ- إِنَّمَا يَكُونُ لِلشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، لَا لِلَّذَّةِ وَلَا لِلشَّهْوَةِ.

وَمَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ لَا يُثَابُ بِالرَّحْمَةِ مِنْ قِبَلِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

إِنَّ مِنْ فَضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ: الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ يَعْمَلُ بِهِ، فَالْخَيْرُ عِنْدَهُ أَكْثَرُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: حَمْلُ الصَّبِيِّ عَلَىٰ الْعَاتِقِ» (ص:٥١٥-٥١٨).

فَمِنْ جُمْلَةِ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ: وُجُودُ الرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

وَمِنْ آثَارِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ: الرِّفْقُ بِالصِّبْيَانِ، وَالْعَطْفُ عَلَيْهِمْ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْبِيلُهُمْ؛ لِيَعْرِفَ الِابْنُ مَدَىٰ مَحَبَّةِ وَالِدِهِ لَهُ، وَيَكُونَ أَلْصَقَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ.

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ هِيَ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي مَنَحَهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي قُلُوبِهِمْ؛ لِذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي قَالَ: «إِنَّ لَهُ عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلَ أَحَدًا مِنْهُمْ»: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**» يَعْنِي: أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللهِ لِلْعَبْدِ أَنْ يَرْحَمَ غَيْرَهُ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ.

وَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ: الضَّعِيفُ، وَالصِّبْيَانُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَمَنْ أَلْصَقُ النَّاسِ بِالْآخَرِينَ، كَآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ؛ حَتَّىٰ يَحْصُلَ التَّمَاسُكُ فِي الْأُسْرَةِ، وَالْمَحَبَّةُ وَالِاحْتِرَامُ وَالْبِرُّ بِسَبَبِ مَا يُقَدِّمُهُ الْأَبَوَانِ لِأَبْنَائِهِمْ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

وَالْحَذَرُ مِنْ إِيثَارِ الذُّكُورِ عَلَىٰ الْإِنَاثِ مِمَّا لَا يُجِيزُهُ الشَّرْعُ، سَوَاءٌ فِي التَّقْبِيلِ وَالتَّحِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمُوَاسَاةِ بِالْمَالِ أَوِ التَّعْلِيمِ، يَجِبُ الْعَدْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»(١). (*).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٢٣)، مِنْ حَدِيثِ: مِنْ طَرِيقِ: حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ يَقُولُ: «أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً»، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: «لَا أَرْضَىٰ حَتَّىٰ تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،...». الْحَدِيثَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ - بَابٌ: قُبْلَةُ الصِّبْيَانِ» (ص: ٥٣٨-٥٣٩).

خَطَرُ الْعُنْفِ الْأُسَرِيِّ وَآثَارُهُ الْوَخِيمَةُ

لَا شَكَّ أَنَّ الْعُنْفَ الْأُسَرِيَّ لَهُ آثَارُهُ الْوَخِيمَةُ عَلَىٰ الْأَوْلَادِ، وَمِنْ ثَمَّ يَقِلُّ التَّعَاطُفُ، وَتُصَابُ الْأُسْرَةُ بِفَقْرِ الْمَشَاعِرِ، مِمَّا قَدْ يَجْعَلُ الْأَوْلَادَ يَبْحَثُونَ عَنْ بَدِيلٍ لِهَذِهِ الْأُسْرَةِ الْبَائِسَةِ الْمُتَفَكِّكَةِ، فَيَخْرُجُونَ إِلَىٰ الشَّوَارِعِ، وَقَدْ يَجْنَحُونَ إِلَىٰ الْجَرِيمَةِ، وَقَدْ يُعَنِّفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، نَاهِيكَ عَنْ تَرْكِهِمْ أَوْ إِهْمَالِهِمْ لِفَرَائِضِ دِينِهِمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ مِنْ دِرَاسَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْعُنْفَ الْأُسَرِيَّ الْمُتَكَرِّرَ يَشُلُّ حَرَكَةَ الْأُسْرَةِ الْإِيجَابِيَّةِ، وَيُفْقِدُ أَفْرَادَهَا الْقُدْرَةَ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِمُ الْأُسَرِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ، فَالْمُعَنِّفُ الظَّالِمُ لَا يَأْبَهُ، وَالْمَظْلُومُ قَدْ قَهَرَهُ الظُّلْمُ، وَالْأَوْلَادُ أَصْبَحُوا ضَحِيَّةً مَا بَيْنَ أَبٍ ظَالِمٍ غَالِبًا لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ ظُلْمِهِ، وَقَدْ قَلَّتْ قِيمَتُهُ فِي نَظَرِهِمْ؛ لِتَصَرُّفَاتِهِ السَّيِّئَةِ، وَبَيْنَ أُمٍّ مَظْلُومَةٍ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا فَضْلًا عَنْ وَلَدِهَا نَفْعًا وَلَا دَفْعًا وَلَا نَصْرًا.

وَمِنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ آثَارَ الْعُنْفِ عَلَىٰ الْأَوْلَادِ مَا قَامَ بِهِ (الْمَرْكَزُ الْقَوْمِيُّ لِلْبُحُوثِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْجِنَائِيَّةِ) بِالْقَاهِرَةِ، وَالَّتِي مِنْ أَبْرَزِهَا «دِرَاسَةٌ فِي ظَاهِرَةِ الْعُنْفِ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ».

وَالَّتِي تَبَيَّنَ مِنْ خِلَالِ نَتَائِجِهَا:

* أَنَّ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِسُلُوكٍ عَنِيفٍ سَوَاءً كَانَ ضَرْبًا أَوْ جَرْحًا أَوْ قَسْوَةً فِي الْمُعَامَلَةِ لَا يَزْدَهِرُونَ عَاطِفِيًّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

* وَإِذَا أَنْجَبُوا فَإِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَسْتَجِيبُونَ لِاحْتِيَاجَاتِ أَطْفَالِهُمُ الْعَاطِفِيَّةِ، وَيَنْتَهِي بِهِمُ الْأَمْرُ -أَحْيَانًا- لِلْإِحْبَاطِ، فَيُهَاجِمُونَ أَطْفَالَهُمْ أَوْ يُهْمِلُونَهُمْ.

وَيُعَدُّ الْعُنْفُ ضِدَّ الْأَطْفَالِ مِنَ الظَّوَاهِرِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ صِحَّةَ وَنُمُوِّ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، وَتُؤَثِّرُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ.

وَكَمَا يُرْشِدُ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ إِلَىٰ الْحِفَاظِ عَلَىٰ مُكَوِّنَاتِ الْبِيئَةِ مِنْ حَوْلِهِ، وَأَنْ يَكُونَ بِهَا بَارًّا رَحِيمًا، لَا قَاسِيًا عَنِيفًا؛ فَكَذَلِكَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُحَافِظَ عَلَىٰ بِيئَتِهِ الصَّغِيرَةِ -أَيْ: عَلَىٰ أُسْرَتِهِ-، وَأَلَّا يَلْمَسَ مِنْهُ أَفْرَادُهَا إِلَّا الرَّحْمَةَ بِمَفْهُومِهَا الْوَاسِعِ فِي التَّرْبِيَةِ.

وَيَتَّخِذُ الْعُنْفُ أَشْكَالًا مُتَعَدِّدَةً، تَشْمَلُ: الْإِيذَاءَ الْجَسَدِيَّ، كَالضَّرْبِ الشَّدِيدِ، وَالنَّفْسِيَّ؛ كَالْإِهَانَةِ، وَالْإِهْمَالِ، مِمَّا يَتْرُكُ أَثَرًا عَمِيقًا عَلَىٰ الْأَطْفَالِ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

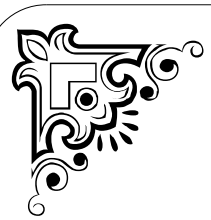

تَجْرِيمُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ فِي الشَّرْعِ

إِنَّ ظَاهِرَةَ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ ظَاهِرَةٌ مَرْفُوضَةٌ فِي الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ؛ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، أَهَمُّهَا: أَنَّ الْأَطْفَالَ مِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، لِذَلِكَ وَصَفَهُمْ رَبُّنَا -تَعَالَىٰ- فَقَالَ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وَالْآبَاءُ مُتَفَاوِتُونَ فِي تَقْدِيرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَشَأْنُ هَذِهِ النِّعْمَةِ هُوَ شَأْنُ كُلِّ النِّعَمِ، يَعْرِفُ حَقَّهَا مَنْ حُرِمَ مِنْهَا، وَيَتَجَاهَلُهَا مَنْ رُزِقَهَا، لَكِنَّ الطَّامَّةَ الْكُبْرَىٰ أَنْ يُجْعَلَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالُ الْأَبْرِيَاءُ حُقُولَ تَجَارُبٍ لِلْعُنْفِ بِأَلْوَانِهِ وَأَشْكَالِهِ كَافَّةً.

فَبَعْضُ الْآبَاءِ لَا يُحْسِنُ الصَّبْرَ عَلَىٰ تَرْبِيَةِ أَطْفَالِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُهِمٌّ، حَتَّىٰ يَسْتَوْعِبَ الْمُشْكِلَةَ، وَكَيْفِيَّةَ مُعَالَجَتِهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَقُومُ بِتَغْيِيرِ سُلُوكِ الطِّفْلِ مِنَ السَّيِّءِ إِلَىٰ الْأَحْسَنِ، بَيْنَمَا الْعُنْفُ وَالْعَصَبِيَّةُ يَجْعَلُ الْمُشْكِلَةَ تَتَفَاقَمُ، وَقَدْ يَسْتَشْكِلُ مُعَالَجَتَهَا، وَقَدْ يَقُودُ الطِّفْلَ لِلِانْحِرَافِ، وَيَزِيدُ مِنْ تَمَرُّدِهِ وَعِصْيَانِهِ، بَلْ قَدْ يَهْجُرُ الْبَيْتَ، وَلَا يَأْوِي إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَصْعُبُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِ.

وَبَعْضٌ آخَرُ ضَعُفَ الْوَازِعُ الدِّينِيُّ عِنْدَهُمْ؛ فَلَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْ أَذَاهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ

أَبْنَاؤُهُ، فَكَأَنَّمَا نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَأَصْبَحَ بِلَا إِحْسَاسٍ، فَهَذَا تَوَعَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد (١٦٨١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٩٨).

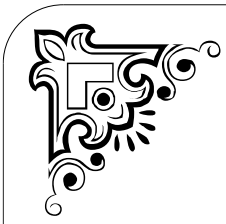

مَظَاهِرُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ:

* **الْعُنْفُ اللَّفْظِيُّ أَوِ النَّفْسِيُّ**؛ بِاسْتِخْدَامِ الْأَلْفَاظِ الْبَذِيئَةِ الَّتِي يَتَلَفَّظُ بِهَا الْوَالِدَانِ أَوْ غَيْرُهُمْ؛ مِنْ سَبٍّ وَشَتْمٍ وَتَوْبِيخٍ لِلْأَبْنَاءِ، وَتَهْدِيدٍ، وَإِهَانَةٍ.

وَيُعْتَبَرُ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْعُنْفِ مِنْ أَكْثَرِ الْمَظَاهِرِ تَأْثِيرًا عَلَىٰ نَفْسِيَّةِ الطِّفْلِ، حَيْثُ يُفْقِدُهُ قِيمَتَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ.

وَالنَّاظِرُ فِي سِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَجِدُ أَنَّهُ تَحَاشَىٰ هَذَا النَّوْعَ خَاصَّةً مَعَ الضُّعَفَاءِ وَالصِّغَارِ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

كَانَتِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ دَائِمًا شِعَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّعْلِيمِ؛ لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ طَيِّبٍ فِي نَفْسِ الطِّفْلِ وَسُلُوكِهِ.

* **وَالْعُنْفُ الْجَسَدِيُّ**: وَهُوَ الْإِيذَاءُ الْبَدَنِيُّ؛ سَوَاءً بِالْيَدِ، أَوْ بِاسْتِخْدَامِ الْعَصَا، أَوْ بِأَيِّ أَدَاةٍ حَادَّةٍ أَوْ غَيْرِ حَادَّةٍ، وَغَالِبًا مَا تَتْرُكُ آثَارًا عَلَىٰ جَسَدِ الطِّفْلِ يَصْعُبُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١١،٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٠٩، ٢٣٣٠).

إِخْفَاؤُهَا، وَهَذَا الْعُنْفُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْكَالِ وُضُوحًا وَإِثْبَاتًا لَهُ.

وَالْمُسْتَقْرِئُ لِحَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرَىٰ انْعِدَامَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّعَامُلِ فِي مُعَامَلَاتِهِ ﷺ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَادِمًا لَهُ وَلَا امْرَأَةً قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

* **وَأَمَّا الْعُنْفُ الْجِنْسِيُّ**: وَهُوَ اسْتِخْدَامُ الْأَطْفَالِ سَوَاءً كَانُوا ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا لِإِشْبَاعِ الرَّغْبَةِ الْجِنْسِيَّةِ بِالْإِكْرَاهِ أَوْ بِالْخَدِيعَةِ، وَلَا يَخْفَىٰ مَا فِيهِ مِنْ إِيذَاءٍ لِلطِّفْلِ وَانْتِهَاكٍ لِحُرْمَتِهِ، كَمَا لَا يَخْفَىٰ أَنَّهُ أَمَارَةٌ عَلَىٰ انْسِلَاخِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «ما ضرَبَ رسولُ اللهِ امرأةً لهُ ولا خادمًا قطُّ، ولا ضربَ بيدِه شيئًا قطُّ إلَّا في سبيلِ اللهِ أو تُنتهَكَ حُرماتُ اللهِ فينتَقِمُ للهِ».

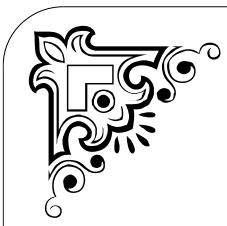

آثَارُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ عَلَى الْأُسْرَةِ

وَقَدْ أَثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ الْعُنْفَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ السَّابِقَةِ تِجَاهَ الْأَطْفَالِ يَتْرُكُ أَثَرًا سَيِّئًا عَمِيقًا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَيُؤَدِّي إِلَىٰ فِقْدَانِ الْأُسْرَةِ الرَّاحَةَ وَالْأَمَانَ دَاخِلَ الْبَيْتِ، مِمَّا يَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ اللُّجُوءِ إِلَىٰ الشَّارِعِ، وَيَتَلَقَّاهُمْ أَصْدِقَاءُ السُّوءِ الَّذِينَ يَقُودُونَهُمْ إِلَىٰ الِانْحِرَافِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَىٰ الْوُقُوعِ فِي بَرَاثِنِ الْجَرَائِمِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَالْحِلْمُ هُوَ الْمَدَارُ فِي هَذَا كُلِّهِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا هَذَا الْخُلُقَ الْجَمِيلَ، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْحَلِيمُ الْعَلِيمُ الْكَرِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْعُنْفُ ضِدَّ الْأَطْفَالِ (الْحِفَاظُ عَلَىٰ الْبِيئَةِ) » - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٧هـ| ٢٤-١٠-٢٠٢٥م.

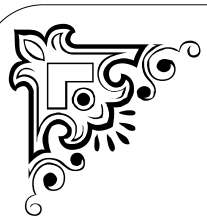

الْفهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

أَهَمِّيَّةُ الرِّفْقِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ ٤

الرِّفْقُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٦

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ: الرَّفِيقُ ١٧

النَّبِيُّ ﷺ نَمُوذَجٌ مُجَسَّدٌ فِي الرِّفْقِ ٢٤

الرِّفْقُ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ ٣١

الرِّفْقُ بِذَوِي الْهَيْئَاتِ إِلَّا فِي الْحُدُودِ ٤٣

جَنَّةُ الرِّفْقِ وَنَارُ الْعُنْفِ فِي الْبُيُوتِ ٤٧

دَعْوَةُ النَّاسِ بِالرِّفْقِ وَثَمَرَتُهَا ٥٣

ثَمَرَاتُ الرِّفْقِ الْعَظِيمَةُ ٥٧

الْخَيْرُ فِي الرِّفْقِ وَالشَّرُّ فِي الْعُنْفِ ٦١

الْقَسْوَةُ لَيْسَتْ وَسِيلَةً لِلتَّرْبِيَةِ

الرِّفْقُ فِي التَّرْبِيَةِ.. مَنْهَجُ النُّبُوَّةِ وَبِنَاءُ الْإِنْسَانِ ٦٥
أَثَرُ الْمَحَبَّةِ فِي السَّوَاءِ النَّفْسِيِّ لِلْأَطْفَالِ ٦٩
مِنْ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الْقَوِيمَةِ: إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ بِالصَّغِيرِ ٧٢
خَطَرُ الْعُنْفِ الْأُسَرِيِّ وَآثَارُهُ الْوَخِيمَةُ ٧٦
تَجْرِيمُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ فِي الشَّرْعِ ٧٨
مَظَاهِرُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ ٨٠
آثَارُ الْعُنْفِ ضِدَّ الْأَطْفَالِ عَلَىٰ الْأُسْرَةِ ٨٢
الْفِهْرِسُ ٨٣